

كيف نفهم الأطفال

سلسلة دراسات سيكولوجية «٥٥»

المشاكل الانفعالية للنمو

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر

القاهرة - نيويورك

المشاكل الانفعالية للنمو

تأليف

سير جون انجلبس و ستيورات فنس

ترجمة

الدكتور السيد محمد خيرى

مدرس علم النفس بكلية الآداب

جامعة عين شمس

إشراف وتقديم

الدكتور عبد العزيز القوصى

عميد معهد التربية العالى للمعلمين

جامعة عين شمس

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is a translation of "Emotional problems of growing up" by O.Spurgeon English and Stuart M.Finch. Copyright, 1951, by Science Research Associates, Inc.

محتويات الكتاب

صفحة	
٧	مقدمة الدكتور عبد العزيز القوصى
١٢	١ - ماهى للمشاكل الانفعالية
	متى تكون المشكلة انفعالية
	الانفعالات لها قيمتها
	النضج الانفعالى هدف أطفالنا
	النمو الانفعالى أمر صعب
٢٠	٢ - الحضانه والطفولة الاولى
	السنة الاولى الهامة
	الحب العائلى
	المرحلة الكامنة
	الحب هو حاجة الطفل الاساسية
٣٣	٣ - المراهقة والمشاكل الانفعالية
	المميزات الجنسية الثانوية
	القذف الليلي
	العادة السرية أمر طبيعى
	الاطفال فى حاجة الى المعرفة
٤٥	٤ - العقبات التى يواجهها كل راشد
	تكوين علاقات ناضجة مع الجنس الآخر
	اتجاهات البالغين
	الاستقلال عن الوالدين

اختيار المهنة والاعداد لها
تحمل المسئولية كمواطن

٥ - دلائل التوافق الضعيف ٦٢

الخوف والقلق

المخاوف التسلطية

المتسلطات

الطفل « الطيب جدا »

الإحلام المزعجة

الفشل الدراسي

السلوك الغير اجتماعي

٦ - وسائل المساعدة ٧٩

الصداقة الحقيقية هي أهم شيء لازم

هل نتوقع استقرارا زئدا ؟

هل نحن مستعدون لبعض التمرد ؟

أين تذهب للمساعدة ؟

مِفْتَاحُ

بقلم الدكتور عبد العزيز القوصي

عميد معهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس

يقول بنيامين فرانكلين ان هناك أمرين مؤكدين يقعان من غير شك أحدهما الموت وثانيهما الضرائب . فأينما نكن يدركنا الموت وتلحقنا الضرائب . ويضيف من ألفوا هذا الكتاب أمرا ثالثا لا يختلف في حتمية وقوعه عن الأمرين السابقين وهو المشكلات .

بهذه العبارة الحاسمة القوية يبدأ الدكتور سيرجون انجلش والدكتور ستيوارت فنش كتابهما الذي نضعه بين يديك الآن وهو عن المشكلات الانفعالية للنمو ومعنى ما تقدم أن فردا لا ينمو ويكبر الا اذا كانت له مع من حوله مشكلات ، ولمن حوله كذلك مشكلات معه . واني أعلم أن هذه العبارات سيأخذها القراء من الآباء والمدرسين وغيرهم بأساليب مختلفة فبعضهم سيأخذها على أنها موافقة وتأكيد لما يعرفونه من قبل من أن الأطفال كثيرو المشاكل وأن تربيتهم أمر مرهق ، وأن من عهد اليهم تربيته من أطفال

هم أكثرهم مشاكل ومتاعب ، وبهذا تؤدي العبارة غرضا مرضيا وهو التسليم والاستسلام والاسترسال فيما كانوا عليه من خطة في تربية الناشئين . وبعض القراء سيأخذها على أنها أمر مبالغ فيه بعض الشيء وأن تربية الأطفال لها رونقها ولها جمالها ولا يرون فيها متاعب أو مصاعب . وبعضهم سيأخذها على أنها توضيح لما سبق أن شعروا به في غموض وانها بداية لتوجيه جديد نحو ما يجب أن يتخذ من خطة في سياسة النشء . وبعضهم سيأخذها على أنها أمر طبيعي عادى فلا تربية للنشء بغير المشكلات وان المرء يشفق سرورا عظيما في اجتيازها وان سبيل اجتياز هذه المشكلات هو سبيل النمو . وهذا رأى حديث لبعض علماء النفس الأمريكيين امثال أريك أريكسون الذى يرى أن حياة النشء فيها عقبات ومشكلات يسميها « أزمات » وأن النمو ما هو الا اجتياز لهذه الأزمات .

فلسن المهد أزماتها من الجوع والرضاعة والقطام والتبول والتبرز والتسنين والمشي والكلام والوحدة والحرمان . وللآباء والأمهات والمربيات كل له أسلوبه فى هذه المواقف . ولهذه المشكلات ولما يتخذ ازاءها من أسلوب أو أساليب آثار راسخة فى نفسية الطفل تؤثر فى نموه حتى سن متقدمة . كذلك الطفولة الأولى لها مشكلاتها فى اللعب والجري والقفز وحب الحركة والميل الى معرفة حقائق الأمور والمخاوف

ودواعى الغضب والاعتداء والغيرة والحنق على تصرفات الكبار وغير ذلك كثير مما تفتت منا ملاحظته أحيانا ونلاحظه أحيانا أخرى ونعالجه أحيانا بالضرب وأحيانا أخرى بالحرمان أو الإهمال أو غير ذلك مما نريد ولا شك أن نعرف ما إذا كان ذا أثر طيب أو سيء في تكوين الناشئ.

يجتاز الطفل هذه المرحلة إذا اجتازها بسلام إلى المراهقة بمشكلاتها الجنسية من تغييرات جسمية وغددية ونفسية . فالعادة الشهرية والاستمناء والقذف الليلي وأحلام النور وأحلام اليقظة كل هذه مشكلاتها نريد أن نعرف كيف يواجهها المراهق وكيف نعينه على اجتيازها إلى ما بعدها .

ثم يأتي دور البلوغ وللبالغ تشوقاته نحو الجنس الآخر وله آماله في المجتمع من مركز سام ومهنة مريحة راقية وله ثورته على من حوله من الكبار سواء أكان ذلك في الأسرة أم في المدرسة ورغبته الشديدة في التحرر والاستقلال . وله كذلك مشكلاته مع زملائه وأصدقائه وله فوق هذا كله بدء الشعور بالمسئولية كمواطن . ثم يكبر الفرد فيصبح شابا ليتزوج وينجب ويكسب عيشه ويسهم في حياة المجتمع وله في كل هذا مشكلاته التي تشتق جانبا كبيرا من أصولها في الغالب من حياته الأولى وتتوقف مواجته لها على مواجته لمشكلاته في مختلف أوار نموه .

وللنمو السويّ والنضج المتزن مقوماته وعلاماته فمن

مقوماته أن يكون الشخص واقعيا لا خياليا يتقبل الحرمان والخيبة المؤقتة في صبر واحتمال وأن يعتمد على نفسه ويستقل بأغلب أموره بأن يقف على قدميه وأن يتعاون مع غيره — فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه — وأن يستغل مواهبه ومقدراته الى أقصى حد مستطاع وأن يحب غيره ويصادق وأن يحب لغيره ما يحب لنفسه وأن يكون قادرا على اجتذاب ميل الناس ومحبتهم وأن يروض نفسه ولا يدللها ، فيعودها على ألا تشبع كل ما تشتاق اليه فوراً ، وإنما تؤجل أحيانا تحقيق رغباتها في غير هلع أو قلق وأن يستمتع فوق هذا بالحياة ومباهجها . أما علامات عدم النضج وعدم اجتياز أزمات النمو في سلام فانها تتركز في السلوك الطفلي وفي القلق والمخاوف والانزواء والاعتداء بشتى صورته وأشكاله .

ولهذا كله كان الآباء والمدرسون وكل المسئولين عن رعاية النشء في ميسيس الحجة الى هذا الكتاب وهو من حسن الحظ جامع لعصارة خبرة رجلين من خيرة الأساتذة الأمريكيين . أحدهما أستاذ علم النفس الطبى بكلية الطب بجامعة تمبل وثانيهما مدير قسم الطب النفسى للأطفال بنفس الكلية في نفس الجامعة . وبحكم منصبيهما نجد أن لهما خبرة مباشرة متكاملة بمشكلات الأطفال . وبحكم منصبيهما نجد أن مادة الكتاب حية فهي مقتبسة من واقع الحياة ونجدتها وافية من حيث الأساس النظرى .

فهو كتاب واقعي حى شيق سلس سهل دون أن تفقده
سلاسته وسهولته شيئاً من دقة العلماء وعمق بصيرتهم .

وقد قام على ترجمته الدكتور السيد محمد خيرى
مرسى المدرس بجامعة عين شمس وله فى ميدان علم النفس
ما لمؤلفى هذا الكتاب مما جعل الترجمة متصفة بكل
ما يتصف به الأصل . وانى أتتهز فرصة التقديم لأهنيء
المكتبة العربية بمجهوده وفضله .

معهد التربية فى مايو سنة ١٩٥٤ .

ما هي المشاكل الانفعالية ؟

كتب بنجامين فرانكلين يقول : « ان الأشياء المؤكدة في هذه الدنيا هي الموت والضرائب » ، وكان يجدر به أن يضيف اليها « المشاكل » ، فهي أيضا أمر من أمور الحياة التي لا مفر منها .

فكلنا تصادفه المشاكل طول حياته ، وتختلف هذه من أمور بسيطة كتقرير ما اذا كان لدينا متسع من الوقت لتغيير ملابسنا قبل العشاء الى أعقد الشئون المتصلة بالزواج والعمل والأطفال .

وتصادفنا مشاكل مالية ، ومشاكل منزلية ، ومشاكل صحية وهكذا . وهذه القائمة طويلة والمشاكل لا يبدو أنها في طريقها لأن تصبح أسهل حلا .

متى تكون المشكلة مشكلة انفعالية ؟

كيف تقابل مشاكل الحياة هذه ؟ كثير منها نعالجها بطريقة أوتوماتيكية دون أن نعمل لها حسابا خاصا أو نهتم بها ، ولكن بعضها الآخر يسبب لنا قلقا وارتباكا أو قد

يقلب حياتنا رأساً على عقب . وهذه هي المشاكل التي تحدث فينا انفعالات ، كأن تسبب لنا الغضب أو الانقباض أو الحسرة ، وهذه هي المشاكل التي نتصرف فيها انفعالياً لا منطقياً . فالحقيقة الواقعة هي أننا حين نعيش أو نعمل مع غيرنا لا يمكننا أن نتفادى المشاكل الانفعالية ، وكل مشكلة من مشاكل الحياة سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، هامة أو تافهة يمكن أن تصير مشكلة انفعالية ، ويتوقف ذلك على طريقة معالجتها ، وما تحدثه فينا من أثر .

والمسألة الحسائية التالية تبدو خلواً من أية ناحية انفعالية : « كم من الوقت يستغرق أربعة رجال يعملون ثمان ساعات يوماً لينبؤوا منزلاً يستطيع عشرة رجال يعملون ست ساعات يوماً بناءه في أسبوع ؟ » ولكنها تصير مشكلة انفعالية إذا وجد محمد صعوبة في حلها فإنه يغضب ويلقى بكتابه في الحجرة ، وإذا يئست فاطمة من حلها فإنها تخفي رأسها بين ذراعيها وتبدأ في البكاء .

أؤخذ مثلاً مشكلة الذهاب إلى السوق ومشكلة اعداد الطعام في الموعد المناسب ، فهذا موقف آلي غير انفعالي يصادفه كثير منا ولكي نحله ننظر إلى ساعتنا ونقدر الوقت اللازم للذهاب إلى السوق والوقت اللازم لاعداد الغذاء . ثم نقرر ما إذا كنا نذهب أولاً نذهب إلى السوق . أما



المشكلة الجبرية العادية عند أغلب التلاميذ
مشكلة انفعالية لدى محمد

إذا ناقشت الزوجة الموضوع مع نفسها واستغرقت في ذلك وقتاً كبيراً فإنها لن تجد الوقت الكافي للذهاب إلى السوق ولا لإعداد الطعام ، فإذا أوقعت نفسها في ارتباك لا تدرى معه أتذهب أم لا تذهب ، ثم تصب بعد ذلك جام غضبها على زوجها الذي لم يأخذها إلى السوق يوم السبت الماضي ، فإنها بذلك تكون قد حولت مشكلة عادية إلى مشكلة انفعالية .

فالمشكلة تسمى مشكلة انفعالية حينما تقلب أحكامنا ، وحينما تجعلنا نتصرف تصرفاً ضاراً بنا أو بغيرنا ، أو حينما تسبب لنا المرض أو تسبب اضطراباً لشخصياتنا .

الانفعالات لها قيمتها

ما هي الوسيلة اذن لمنع المشاكل الانفعالية ؟ أهي قمع انفعالاتنا ؟ هل يعنى التوافق الصحيح العزوف عن ابداء المشاعر القوية ، وعن المناقشة المناضلة والثورة وتجاهل عواطف الآخرين من الجماعة ؟ لن يكون هذا صحيحا اذا أردنا لبناتنا وأولادنا أن يعتمدوا على أنفسهم في تفكيرهم وفي نشاطهم .

فالانفعالات دعامة قوية من دعامات الشخصية ، فهي التي تدفع الفرد للعمل في الحياة ، فما الذي نستطيع أن نعمله في الحياة بدون التلقائية والحماس والحب والخوف والعزة والمشاركة الوجدانية ؟ هل نستطيع أن نتخيل عالما بدون انفعالات ؟ والانفعالات دوافع قوية لعمل الخير أو لعمل الشر ، وليست الانفعالات سيئة أو ضارة أو غير مرغوب فيها لذاتها . وليست هي العنصر الخاطيء في المشاكل الانفعالية وانما تنتج الصعوبات التي تصادفنا من الطريقة التي نتحكم بها في انفعالاتنا أو التي بها نجعل انفعالاتنا تتحكم فينا .

قلو اتخذ محمد - الذي لاقى صعوبة في حل مسأله الحسابية - شعوره بالفشل حافزا له على التقوية في المادة لكان انفعاله ذا قيمة فعالة في زيادة تحصيله ، فالانفعال كالعملة لها وجهها الآخر ، فاذا قلبت الكره وجدت الحب ،

وان قلبت الأنانية وجدت التضحية ، وان قلبت المنافسة الهدامة العدائية وجدت التعاون ، وكل هذا يتوقف على وجه العملة التي نستعمله .

النضج الانفعالي هدف أطفالنا .

فليس هدفنا أن نعلم أطفالنا قمع انفعالاتهم ، ولا أن نحميهم — حتى لو استطعنا — من المشاكل اليومية في الحياة ، بل أن نساعدهم على أن يتعلموا استعمال انفعالاتهم استعمالا بنائيا ، وأن يتصرفوا في مشاكلهم تصرفا فعالا ، وبالاختصار فهدفنا مع أطفالنا هو النضج الانفعالي .

والنضج الانفعالي صعب التعريف ، ذلك لأن الشخص ، لا يحتفظ بنضجه الانفعالي دائما ، ولكن الشخص الناضج انفعاليا يتميز بما يأتي :

١ — يكون واقعيا ، فيحكم على المواقف كما تحدث ، لا كما يودها أن تحدث ، واذا ما وقعت المشاكل يستفيد منها أكبر استفادة بدلا من التهرب منها أو محاربتها .

٢ — يتقبل الاحباط والمضايقات دون أن يغضب غضبا لا يمكنه من التحكم فيه ودون أن يتأثر صحيا .

٣ — يمكنه أن يقف على قدميه ، أى يستطيع الاعتماد على نفسه .

٤ — يستطيع التعاون مع غيره ويهتم بحاجاتهم وميولهم كما يهتم بحاجاته وميوله الشخصية .

٥ - يستغل قدراته استغلالا منتجا ويشارك في أوجه النشاط بحماس ورضى .

٦ - يستطيع أن يحب غيره بجانب حبه لنفسه .

٧ - يمكنه أن يؤجل مسراته الحالية في سبيل مستقبل

أهم .

ولعله من الواضح كم يستفيد الطفل من نضجه الانفعالي ، ولكن قد يكون أقل من ذلك وضوحا ولكن على نفس الدرجة من الأهمية كيف يؤثر النمو الانفعالي للأطفال في النواحي الأخرى ، فنحن نعلم الآن أن النمو العضوي يتأثر تأثيرا كبيرا بالعوامل الانفعالية ، فالأطفال البائسين لا ينمون بنفس السرعة التي ينمو بها الأطفال السعداء ، كما اكتشف أيضا أن معاملات الذكاء التي كانت تعتبر ثابتة ولا يمكن تغييرها تعتمد الى حد ما على البيئة الانفعالية للأطفال ، فمعاملات الذكاء أمكن رفعها بمساعدة الطفل على أن يتوافق توافقا انفعاليا ، كما أن الطفل الذي يتقدم نحو النضج الانفعالي يتحسن أيضا في الناحية الجسمية والعقلية .

النمو الانفعالي أمر صعب

ليس منا من يعتبر مكتمل النضج من الناحية الانفعالية ، فإذا كنت في الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين فلا زلت تسلك

سلوك الأطفال بين آونة وأخرى وخاصة اذا كنت متعبا أو
يائسا أو حتى عندما تشعر بالهبوط . وهذا أمر حسن من
ناحية لأنه يعاوننا على أن نتفهم المشاكل والصعوبات التي
تصادف أطفالنا أثناء نموهم .

ونستطيع أن نتذكر جميعا الأوقات التي احمر وجهنا فيها
وشعرنا بالحرارة بسبب ارتباك اجتماعي وقعنا فيه ، كما
نستطيع أن نتذكر كيف شعرنا بالوحدة وبأن الجماعة لا تفهمنا
أو أن شعورنا قد جرح لأننا لم نكن نلبس ملابس حسنة
كغيرنا من الأطفال ، أو أننا يئسنا من قصرنا العقلي عندما
رسبنا في أحد الامتحانات ، أو أننا شعرنا بأننا لسنا من
المرغوب فيهم وفكرنا في الهرب من المنزل ، ولعله من المؤلم
لك حتى الآن أن تفكر في هذه الجوادث .



لعله لا يزال مؤلما لنفسك أن تتذكر الفترة التي فكرت فيها
في الهرب من المنزل

وسنناقش مشاكل من هذا القبيل في هذا الكتيب –
المشاكل المتعلقة بالنمو . سنناقش الخبرات والحوادث التي
تمر في الحياة الأولى التي قد تسبب توافقاً سيئاً ، وبعض
الوسائل للتعرف على المشاكل الانفعالية في أطفالنا ، وأهم
من ذلك كله كيف يستطيع الآباء والمدرسين معاونة أطفالهم
على النمو نحو النضج الانفعالي .

الحضانة والطفولة الأولى

لكى يتسنى لنا مساعدة الصغار وفهمهم سواء أكانوا في الثامنة أو في الثامنة عشر ينبغي أن نعرف ما حدث لهم في عهد حضانتهم وفي طفولتهم الأولى ، فالطفل في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة ليس تتاجاً لما حدث له أمس أو لما حدث له في العام الماضي ولكنه تتاج لما حدث له منذ زمن بعيد - أى قبل أن يتعلم أن يرتدى ملابسه أو يمشط شعره بنفسه كما أن المشاكل الانفعالية تبدأ في هذه السنوات الأولى .

وسنناقش في هذا الباب أربع مراحل من مراحل النمو لها أهميتها الكبيرة في حياة الطفل المستقبلية ، وهذه المراحل هي : مرحلة الحضانة ومرحلة تكوين عادات النظافة في التبول والتبرز ومرحلة العطف العائلي ومرحلة « الكمون » ، وسنناقش باختصار حاجات الطفل في كل مرحلة من هذه المراحل وبعض الصعوبات التي قد تنشأ عن خبرات أليمة في كل من هذه المراحل .

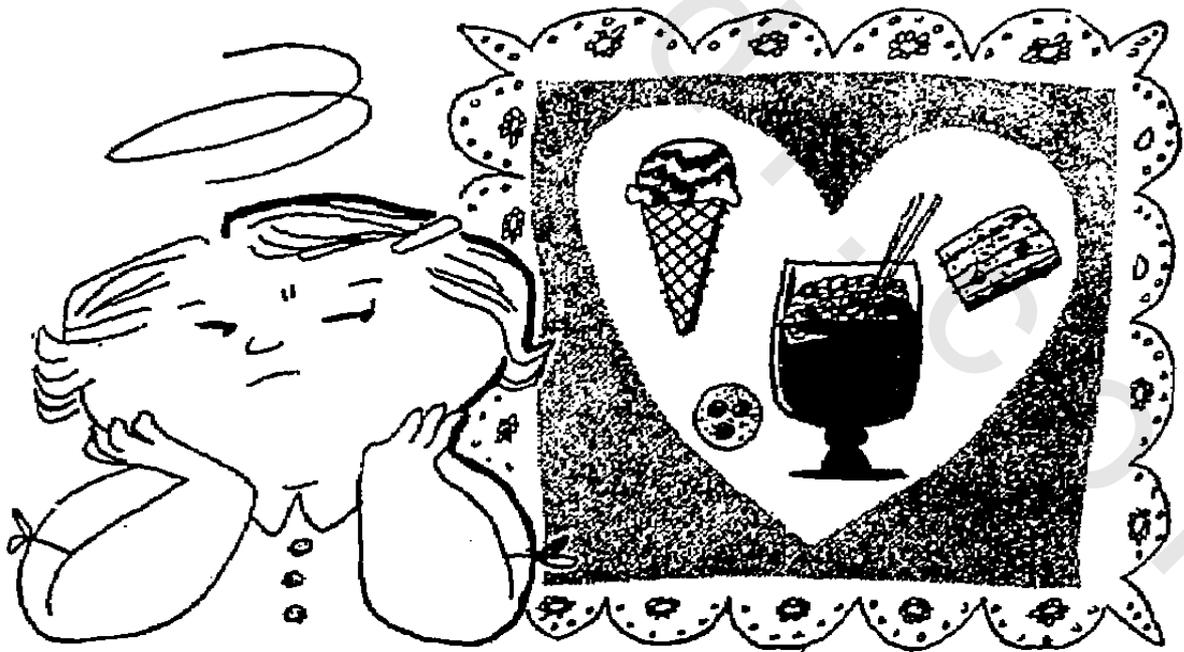
السنة الأولى الهامة - مرحلة الحضانة

يعتمد الطفل في سنته الأولى اعتماداً كلياً على غيره فلا حول له ولا قوة ، وهو في حاجة إلى حب ووفير واتباه وأمن

ورعاية ، واذا لم يحظ بكل هذا فمن المحتمل أن ينشأ معقدا
قلقا غير مطمئن .

فكثير من المراهقين والبالغين الذين يبدو عليهم برود
العاطفة والميل الى العناد لم ينشأوا على هذه الصورة الا
لأنهم لم يجدوا في سنيهم الأولى الحب والالتباه الذين
كانوا في حاجة اليها .

والغذاء هو مصدر الاهتمام الوحيد للرضيع وفكرته
عن العالم تتعلق تعلقا وثيقا بما يلقاه من ارتياح في سد
جوعه ، فالرضيع الذي يترك يبكي في مهده حتى يحين الموعد
المحدد لغذائه أو الذي يوضع في عربة دون أى عطف أو اهتمام
والذي لا يعطى فرصة الاستمتاع بأشباع حاجته الى المص
والذي يفطم مبكرا قد ينشأ عرضة للمشاكل الانفعالية في
حياته المستقبلية واليك المثال :



وقد يكون الاسراف فى الاكل دليلا على وجود مشاكل انفعالية
لدى الطفل

كانت عائدة في الخامسة عشرة من عمرها وكانت سميئة جدا ولم يجد طبييها سببا جسيما لهذه السمنة المفرطة وقال لها بخشونة : « أيتها السيدة الصغيرة - أنت تأكلين كثيرا فعليك أن تقتصرى فى أكل كل شىء ، وخاصة السلاطة والحلوى . » عملت عائدة على أن تتبع نصائح الطبيب ، ولكنها استمرت فى أن تأكل كثيرا وأن تزداد فى وزنها ، ومشكلة عائدة مصدرها فى خبرات طفولتها الأولى ، فعندما كانت فى الشهر السابع ذهب والداها الى أوروبا لمدة تزيد على العام ، واضطرت أمها لفظمها وتركها مع جدتها المسنة التى لم تكن تفهم ولا تميل الى رعاية الأطفال ، فأصبح الغذاء رمزا لكل العطف والحب الذى فقدته عائدة فى طفولتها ، وأصبحت فى كبرها مراهقة تعسة تشعر بالوحدة وتعمل على أن تجد سرورها فى الحلوى والمسكرات .

التعود على النظافة فى التبول والتبرز

بعد حوالى السنة الأولى يكتشف الطفل الصغير الحاجة الى ملاءمة تصرفاته مع مطالب من حوله ، وحوالى السنتين أو الثلاث سنوات التالية يصبح جزءا كبيرا من تنشئته الاجتماعية منحصرًا فى التحكم فى تقلصات المثانة والأمعاء ، وقد كان قبل ذلك يتبول أو يتبرز كلما كان يشعر بالحاجة الى ذلك ، ولكن عليه الآن أن يتعلم تنظيم هذه الوظائف .

فتنظيم التبرز والتبول يحتاج من الطفل أن يترك عادات الطفولة ، وأن يتعلم عادات أخرى جديدة يوافق عليها

المجتمع ، وهو لن يفعل ذلك اراديا ، ولكن والديه يجب أن يعلماه عاداته الجديدة .

فاذا دربه والداه بصبر وتفهم تعلم الطفل أن يتلاءم بمحض ارادته ، وهو بذلك ينشأ لديه اتجاه حسن نحو مصدر السلطة ، أما اذا استعمل والداه معه الشدة والعقوبة الزائدة في تدريبه على عادات النظافة فقد يكون قليل الميل للتعاون ، بل وقد ينشأ ميالا للتمرد على مصادر السلطة ، حتى اذا ما كبر قد يحتفظ بهذه الاتجاهات ، وقد يؤثر ذلك على شخصيته وعلاقاته مع غيره من الناس ، ولعل أحمد خير مثال على ذلك .

أحمد - المراهق العنيد

أحمد ولد عنيد يستثير مدرسيه ووالديه دائما وذلك برفضه الاعتراف بخطئه كلما أخطأ والرجوع الى ماضيه يعين في شرح عناده هذا : تفخر والدة أحمد بأن ابنها تمكن من التحكم في عادات نظافته قبل أن يبلغ سنته الأولى ، وكان هذا أمرا مؤلما يصعب على طفل صغير أن يتغلب عليه ، ويبدو أن أحمد قد شعر بغضب شديد على من أوقعوه في هذا الموقف وكنتيجة لذلك قد نشأت معه معارضة غير شعورية نحو كل مصادر السلطة، كلما صادفها واتجاهه المعاند نحو مدرسيه ووالديه هو تعبير عن قوله « قد تضطروني لأى تصرف ولكنى لن أستمتع مطلقا من هذا التصرف . »

الحب العائلي

حوالى الرابعة أو الخامسة يعيش الطفل فى موقف يتكرر فى كل عائلة ، ذلك أن الطفل يصبح أكثر تعلقا بأمه أكثر من ذى قبل ، بل وقد يصير غيورا بعض الشيء من أبيه ، والبنت الصغيرة قد تتحول حينئذ الى أبيها فتكره أن تراه ملكا لأمها ، وهذه مرحلة هامة من مراحل نمو الشخصية ، ذلك لأن اتجاهات الطفل المستقبلية نحو العلاقات الجنسية تتكون فى هذه الفترة .

فالصبي الصغير يدرك أنه لا يستطيع أن يمتلك أمه بمفرده ، بل عليه أن يقتسمها مع أبيه كما تدرك البنت الصغيرة أنها لن تحظى برجل ظريف كأبيها الا اذا كبرت ، ولكى يتيسر لها ذلك يجب أن تكون أتشى كاملة كأبها ، وبالمثل يدرك الصبي الصغير أنه لا بد أن يتحول الى صورة



تنمو البنات نحو الانوثة الكاملة بتقليد أمهاتهن

أبيه حتى يجتذب ويمتلك زوجته ، ولذا فإن كلا من الصبي والبنث يترك منافسة أحد الوالدين من جنسه ، ويبدأ فى تقليده بدلا عن ذلك . فتعمل البنت على أن تكون صورة من أمها بقدر ما تستطيع ، وبذا تكون أنوثتها ، ويعمل الابن على تقليد الأب ويكون بذلك رجولته .

فاذا وجدت البنت أباهما شخصا محبا عطوفا يهتم بها فمن المحتمل أن تستطيع تكوين علاقات سارة مع الرجال فى مستقبل حياتها ، واذا لقي الصبي تفهما وعظما من أمه فى احتكاكه بها فانه يستطيع فيما بعد أن يكون علاقات طيبة مع النساء .

ولكن اتجاهات الوالدين فى هذه الفترة قد تقلب المجرى الطبيعى الذى يؤدى بالطفل لأن ينمو نموا كله أمن كحالة احسان .

حالة احسان

حزن والداها عندما نخاب أملهما فى انجاب صبي ، ولذا سمياها بهذا الاسم ، ولم يستطع أبوها يوما أن يخفى تضايقه الأول من أنها كانت بنتا ، ففى أثناء سنى نموها قلما كان يهتم بها ، وكانت احسان شاعرة بهذا ، وفى سن السابعة عشرة هربت من المنزل وتزوجت من أول فتى أبدى أى اهتمام بها ، وقد عزى والداها هذا الى حبها للفتى ولكن الحقيقة لم تكن كذلك ، فقد كانت تفتقد الأب وتتوق الى

أيجاده ، ولم يكن زواجهما الا بحثا عن الأب الذي لم تجده
يوما ما .

المرحلة الكامنة

لا يتوقف نمو شخصية الطفل بطبيعة الحال عندما ينتهى
الطفل من المراحل الثلاثة التى ذكرناها . فالطفل يستمر فى
النمو جسميا وعقليا وانفعاليا ، فنمط شخصيته قد تحدد
الى حد كبير تبعا لخبرات مرحلة حضائه ، ولكن الصغير
— وشخصيته — لا يزال قابلا للتأثر ، فكثير من العوامل
لا زالت تؤثر على نموه الانفعالى بطريقة ما ، وهذا يحدث
طوال طفولته وفترة مراهقته وفى أوائل بلوغه ، ولنبحث
الآن فى المرحلة التالية من مراحل نمو الطفل .

يسمى الأطباء النفسيون المرحلة التى بين مرحلة العطف
العائلى ومرحلة المراهقة (التى فيها ينضج جنسيا) بالمرحلة
الكامنة ، ولعل كل من يحتك بالأطفال فيما بين السادسة
والثانية عشر قد يعتقد فى خطأ هذه التسمية ، فالأطفال فى
هذه السن أبعد ما يكونون من الهدوء فهم غالبا نشيطون
ميالون لاجداث الضوضاء والفوضى كما كانوا من قبل وكما
يكونون فيما بعد ، فالذى يعنيه الأطباء النفسيون هو النمو
الانفعالى وليس السلوك .

فترة الكمون اذا قارناها بمرحلة الحضانه أو المراهقة
هى مرحلة الهدوء النسبى من حيث النمو الانفعالى ، فطاقة

المطفل تكون موجهة لتوسيع أفقه خارج منزله وعائلته وفي تعلم كل ما يتعلق بعالمه الذي يعيش فيه ، وليس موجهة الى نمو جديد ، فتصبح المدرسة وعمليات التعلم الجديدة هامة بالنسبة اليه ، فقد تغلب على صراعه فيما يتعلق بالعطف العائلي ، وهو يتحول الآن الى توسيع نشاطه الاجتماعي فيكون الصبية الجماعات ، ولا يهتمون كثيرا بالبنات ، والبنات من ناحية أخرى يجتمعن سويا ولا يملن كثيرا الى الصبية.

السنوات المدرسية الاولى لها أهميتها .

مرحلة الكمون هي الوقت الذي تبدو فيه أهمية المدرسة في نمو الطفل وفي اكتساب خبرته الأولى أثناء نشاطه المنظم ، فاذا كانت سنواته الأولى في المدرسة سارة ممتعة تربى لديه اتجاه صحيح نحو التعليم ومعاملة الغير ، والخبرة المدرسية قد يكون لها أثرها الطيب على نمو شخصية الطفل ، ولكنها لا تستطيع — كما يزعم بعض الآباء — أن تمحو كل المشاكل الانفعالية التي تكون قد تكونت في الطفل قبل ذلك ، فالأم التي تجد صعوبة مع طفلها قد تقول « سيصلح حاله عندما يدخل الروضة » ، ولكنها في هذا تتوقع من مدارسنا أكثر مما يجب بالرغم من أن المدرسين المهرة استطاعوا أن يصنعوا المعجزات في مساعدة الأطفال الذين يعانون ارتباكاً.

كيف استطاع أحد المدرسين المعونة .

. لاحظت الآنسة « س » — وهي مدرسة بالسنة الثالثة

الابتدائية — أن احدى تلميذاتها الجدد كانت تبكى كثيرا في الأيام الأولى من دخولها المدرسة ، فبعد أن تحدثت معها اتضح لها أن التلميذة قد لاحظت فتحات محبرة على كل درج في فصلها الجديد وكانت خائفة من أنها ستضطر الى استعمال الحبر بدلا من القلم الرصاص الذي تعودت عليه ، وقد يبدو هذا الأمر لأول وهلة أمرا تافها لا قيمة له ، ولكن الأنة « س » فهمت أن مشكلة هذه التلميذة أعمق من ذلك.



تستطيع المدرسات معاونة الاطفال المضطربين ولكن الآباء يتوقعون منهم أن يفعلوا العجائب

لقد وجدت أن أى شيء جديد عليها كان يخيفها ، وكانت الطفلة تقاوم كل خبرة جديدة عليها بدلا من أن ترحب بها ، وكانت تنزعج من فكرة أى شيء جديد ، لماذا ؟

وجدت الأنة « س » أنه بالرغم من أن منزل الطفلة

يبعد عن المدرسة بمنزلة فقط ، الا أن أمها كانت دائما ترافقها في الذهاب والاياب ، وكانت تحميها أيضا في كل أمورها الأخرى ، ولم تتح للطفلة بذلك أي فرصة لأن تصدر قراراتها بنفسها ، ولم يسمح لها بممارسة أوجه النشاط الاستقلالية العادية لأطفال هذا السن .

تحدثت الآنسة « س » الى أم الطفلة ، وعاونتها على ادراك مدى الخطأ في عزل الطفلة عن الحياة ، وبمعاونة الأم وموافققتها تمكنت الآنسة « س » من اعطاء الطفلة بعض المسئوليات داخل الفصل ، وعينتها ملاحظة للفصل ، وبعد عام من ذلك أصبحت الطفلة احدي ضابطات المدرسة التي تلاحظ المرور بعد أن كانت تقودها الى المدرسة أمها القلقة عليها ، وأصبحت مسئولة عن سلامة الأطفال الصغار في موضع تقاطع مزدحم ، وصارت تلبس زيها وشارتها الخاصة بعملها بمنتهى الفخر والاعجاب .

الآباء والمدرسون يعاونون الطفل

الآنسة « س » مثال لما يستطيعه المدرسون من معاونة الأطفال على التغلب على المشاكل التي بدأت منذ أمد بعيد قبل دخولهم المدرسة ، فقد نظرت الآنسة « س » الى الطفلة كاحدي الأطفال الذين في نفس السن ، وقد كانت تمتاز بذلك عن والدة الطفلة لأنها كانت تستطيع مقارنة تقدمها بتقديم باقي الأطفال في الثامنة ، كما أن الآنسة « س » كانت تلاحظ

الطفلة في مواقف اجتماعية وتعليمية ، وهما جانبان لم تكن
الأم تعرف عنهما الا القليل ، وقد عاوتت الأم على تفهم
طفلتها .

فاذا عملت المدرسة والوالدة متعاونين أمكنهما تفهم
الأطفال تفهما صحيحا ، وأمكنها معاوتتهم على أن يتوافقوا
مع الحياة في المدرسة وخارجها .

الحب هو حاجة الطفل الاساسية

يتعلم الصغير في مرحلة الحضانة وفي مرحلة الطفولة الأولى
— وهما مرحلتان هامتان — أن يتوافق مع عائلته ومع
الناس الآخرين في بيئته . والخبرات المدرسية تعطى الطفل
كثيرا من دروسه الأولى في التوافق مع الجماعات وكثيرا
من المعلومات والحقائق المتعلقة بالعالم الذي يعيش فيه ،
وفي المدرسة يتربى اتجاهه نحو التعلم وخبراته مع والديه
ومدرسيه تحدد الى درجة كبيرة كيف يقابل الصغير مشاكل
المراهقة والبلوغ .

فنحن نعلم حاجات الطفل العضوية أثناء هذه السنوات
الأولى الهامة ، ولكن ما هي الحاجات اللازمة للنمو الانفعالي
الصحيح ؟ أولها وأهمها هو الحب ، فاذا أُجيبَت حاجة الطفل
للحب فإن كل حاجاته الانفعالية ستجاب تبعا لذلك — كحاجته
الى الأمن وحاجته للتبعية وحاجته للزمالة .

ولكن هل لا يجب جميع الآباء أبناءهم ؟

ولكن هل لا يجب جميع الآباء أبناءهم ؟ لا ليس هذا ضروريا . فالعالم مملوء بالأطفال المهملين من الناحية الانفعالية الذين - لسبب أو لآخر - لا يحصلون على نوع الحب الذى يريدونه ، وبدون الحب لا يستطيع الأطفال تجنب المشاكل الانفعالية .

حسن فى العاشرة من عمره لا يبدو عليه أنه لم يحظ بالحنو اللازم ، فهو الصبى الوحيد الذى تحيا أمه من أجله ، ولكن حقيقة الأمر أن الأم لم تكن راضية على ترك عملها الذى كانت تأمل منه خيرا بسبب ولادتها له ، ونظرا لأن ضيقها هذا يشعرها بالاثم فانها تتجه الى الطرف الآخر فتكرس كل وقتها وطاقتها لهذا الصبى . وبهذه الوسيلة تقنع نفسها أنها تحب الصبى حبا كثيرا ، ولكنها لاتستطيع أن تقنع حسن نفسه بذلك ، فهو يشعر بنعمة غير صادقة تخفيها أمه وراء اهتمامها المستمر بصالحه ، ولذا فهو لا يشعر بالأمن أو السعادة فالأطفال يحسون بسرعة بالنعمة المخفية تحت التصرفات الظاهرة للآباء والمدرسين ، ولن يسعدهم أى قدر من الحب « المصطنع » .

أنا أعطى ٠٠ وأنت تأخذ

ونوع الحب الذى يحتاج اليه الطفل لا يمكن أن يعطيه بحرية الا أناس هم أنفسهم ناضجون من الناحية الانفعالية ،

أناس يحسون بالحاجات المتنوعة للطفل الذي ينمو ،
ويستطيعون أن يقدموا إليه كل عطاء ممكن في السنوات الأولى .
فمن عطايتهم يستطيع الطفل أن يتعلم أن يعطى هو في
المستقبل عندما يأتي دوره ، فالوالد الناضج لا يتوقع سنا
بسن في تبرعه بالحب والوقت والطاقة ، واتجاهه يجب أن
يكون « أنا أعطى - أنت تأخذ ، وبينما أنت تأخذ تتعلم
أن تعطى في الوقت المناسب » .

والطفل الذي يولد في جو من الحب الناضج يكون
مستعدا لمواجهة الأزمات الانفعالية في المراهقة ، وما يصاحبها
من تغيرات جسدية ونفسية ، فالوالد الذي يعطى حبا ناضجا
لطفله يكون مستعدا أيضا لمعاوته على التغلب على صعوبات
البلوغ بصبر وتفهم - وبحب أكثر .

وفي الباب التالي سنبحث التغيرات الجسمية والنفسية
التي تحدث عندما يبدأ الطفل مرحلة المراهقة .



الحب الابوي يساعد الطفل على مجابهة الازمة الانفعالية للمراهقة

المراهقة والمشاكل الانفعالية

يسبب النمو الجنسي عند كثير من الصبية والبنات مشاكل انفعالية وتبدأ العملية حوالي سن الثانية عشرة وتكتمل عادة في مدى سنتين أو ثلاثة ، وتسمى هذه الفترة بالمراهقة ، وتبدأ هذه المرحلة عادة مبكرة عند البنات عنها عند الصبيان ، ولكن نظراً لأن سرعة النمو تختلف من طفل لآخر فإن هذه الفترة لا تبدأ في سن واحدة عند جميع الأطفال .

والتغير الأساسي الذي يحدث في المراهقة هو زيادة نشاط الغدد التناسلية ، فيصبح الصبيان والبنات قادرين على الإنتاج ، ويختفى مظهر الأطفال فيهم ، ويحل محله مظهر الرجال والنساء ، كما تحدث زيادة عامة في سرعة النمو فيخطو الأطفال خطوات واسعة حتى يصلوا الى قمة البالغين وتجلب هذه التغيرات العضوية معها تغيرات نفسية كبيرة ، فتنشأ ميول جديدة ، وحاجات جديدة واستجابات انفعالية جديدة في الطفل .

المميزات الجنسية الثانوية

بحلول مرحلة المراهقة تحدث في الطفل تغيرات عضوية كثيرة ، فتظهر عليه مميزات جنسية ثانوية ، فيكبر صدر

البنات ، وتتسع ردفاتها ، ويبدأ الشعر في الظهور تحت الذراعين وحول الأعضاء التناسلية ، وفي الأولاد يخشن الصوت وتبدأ اللحية في الظهور ، وينبت الشعر حول أعضائهم التناسلية وتحت أبطهم ، وينمو عضو التناسل في الحجم . وكل هذه التغيرات لا تحدث - بطبيعة الحال - في يوم وليلة ، ولكن على الرغم من أنها تحدث بالتدريج إلا أن المراهق يلاحظها ويخجل عندما يفكر أن غيره يلاحظها عليه كذلك .

والتغيرات الجنسية الثانوية هي دلائل على أن الطفل ينمو ، ويهتم بهذه المظاهر كل طفل تقريبا ولكن بسهولة توافق الطفل مع هذه التغيرات يتوقف الى حد كبير على رغبته في ترك الطفولة وراءه ، وعلى الاتجاه العقلي الذي تكون لديه نحو الجنس الآخر .

لا تسيرى متهاككة هكذا يا « د »

حاول والدا « د » ومدرسوها أن يجعلوها تعتدل في وقتها ، ولكنها كانت تمشي دائما بكتفين مقوسين مما كان يشوه مظهرها ، وذلك لأنها كانت تخجل في قرارة نفسها من نمو ثدييها ، فكانت تحاول أخفاهما بالنقوس ذلك لأنها كانت تعيش في عائلة تعتبر أنه من العيب أن يذكر الانسان أى شيء يتعلق بالجنس ، فقد كانت تربيتها الحازمة التي نشأت عليها تعتبر المشاعر الجنسية من الرذائل ، وكان من

الطبيعى بعد ذلك أن تصادف كثيرا من الصعوبات عندما بدأت تحس بهذه المشاعر أثناء مرحلة البلوغ ، وقد كانت تظن أن نمو ثدييها مظهر خارجى لمشاعرها الداخلية ، ولذا فقد دأبت على إخفائها كلما أمكنها ذلك .

أما الفتى الذى يعيش فى منزل يعتبر المسائل الجنسية جزءا معترفا به من الحياة يكون أكثر قابلية لأن يتوافق مع دوافعه الجنسية التى تستيقظ فى مرحلة المراهقة ، وليس معنى الاعتراف بالمسائل الجنسية أن تترك الحبل على الغارب للمراهق يسعى بنهم لاشباع دوافعه الجنسية ، ولكن يجب أن نعاون كل فتى على تقبل النضج الجنسى كجزء طبيعى لا غنى عنه من عملية النمو .



يكون كل طفل حساسا لحد ما نحو جسمه النامى

وإذا كانت تربية الطفل السابقة قد علمته أن المشاعر الجنسية أمور « خاطئة » فانه يضطر الى محاولة اخفاء هذه المشاعر وضغطها ، وهذه قد تؤدي الى صعوبات انفعالية ، وفي بعض الحالات تؤدي الى البرود الجنسي في المستقبل ، أو قد تؤدي على العكس من ذلك الى التهيج الجنسي ، لأن الطفل اذا ما حاول قمع دوافعه الجنسية فان قوة هذه الدوافع تزداد ، حتى تعجز الحدود الاجتماعية عن صدها .

وكثير من البنات - لسبب أو لآخر - لا يملن الى القيام بدور الأثني في الحياة ، فالأم التعسة يمكن أن تشعر بنتها بأن عمل المرأة في الحياة عمل شاق ، لاحمد عليه ولا ثناء ، أو قد تحاول البنت أن تتجنب الى أبيها الذي يفضل البنين على البنات بأن تسلك دائما مسلك الصبيان ، ولكن البنت



الام التعسة قد تسبب عند البنت شعورا
بعدم الرضى عن أنوثتها

لن تستطيع أن تنكر انوثتها تماما بعد أن تبدأ عملية العادة الشهرية ، فهي شارة لانوثتها ، ولن يمكنها التهرب منها ، وهذا يسبب مشكلة انفعالية لكثير من البنات اللائى لم يدركن مطلقا مقدار كرههن لجنسهن .

وهناك سبب آخر يجعل من العادة الشهرية مشكلة لكثير من البنات ، وهو الخرافة القديمة التى تتعلق بهذه الظاهرة . فالبنات يتعلمن من مصادر مختلفة أن العادة الشهرية مؤلمة لا يستطعن تحملها ، بل ومن العار حدوثها ، وأحيانا تعلم الأم التى تتألم فعلا من هذه العادة الشهرية بنتها أنها أمر مؤلم مزعج ، يمكن تحمله بعض الشيء بالرقاد فى السرير واستعمال زجاجة ماء دافئة لعدد من الأيام ، ولكن الأم التى تستمتع بانوثتها وتتقبل العادة الشهرية على أنها جزء من الانوثة تكون مثلا حسنا لابنتها ، ذلك لأن البنت التى تتقمص شخصية أمها ستتقبل حدوث هذه العادة بهدوء عندما يحين موعد حلولها .

والعادة الشهرية عملية فسيولوجية عادية ، وهى لن تكون متعبة أو مزعجة الا فى الحالات المرضية ، ولكن الأعراض المؤلمة التى ترتبط بها هى احدى المشاكل الانفعالية التى تعانىها المرأة وكثيرا ما يكمن وراء تعب المرأة من هذه العادة عدم رغبتها فى تقبل انوثتها ، فكل فترة شهرية تذكرها بشدة أنها امرأة ، فينعكس الألم النفسى فى صورة ألم عضوى ،

و « المنص » الذى تشعر به يكون نتيجة للتوترات الداخلية التى تجعل العضلات المختلفة فى الجزء الأسفل فى حالة شد .

القذف الليلي

فى فترة المراهقة يبدأ الصبية فى القذف الليلي ، أى افراغ السائل المنوى أثناء النوم ، وكثيرا ما يصحب هذا أحلام جنسية ، وهذه الأحلام وافراغ السائل المنوى قد تحدث عند المراهق شعورا بالقلق والاثم ، فقد يكون قد علم أن افراغ هذا السائل سيحدث له ضرا ، وسيضعف جسمه ، فبعض الآباء يقعون فى خطأ تخويف أولادهم من هذا ليعيدوهم عن العادة السرية ، ولكن حتى اذا ابتعد الصبى عن العادة السرية فانه لا يستطيع أن يفعل شيئا لمنع القذف الليلي ، فهو يحدث أو توماتيكيا كما يحدث التنفس أو النوم، ولا يخضع مطلقا لارادة الانسان الشعورية .

فالتربية المتعنتة لا تؤدى الا الى مشاكل انفعالية ، عندما يبدأ الصبى مرحلة المراهقة ، ويجد أنه مهما حاول فانه لن يستطيع منع هذا القذف الليلي أثناء نومه .

العادة السرية أمر طبيعى

تعتبر العادة السرية حادث شائع فى ثلاث مراحل من نمو الطفل ، فهى تحدث أولا فى دور الحضانة عندما يكتشف الطفل جسمه ، ونظرا لأنها فى هذا الوقت تكون غامضة غير منظمة فان الآباء عادة لا ينظرون اليها على أنها صورة من

صور العادة السرية ، وتحدث أيضا بين الرابعة والسادسة عندما يشتد تعلق الطفل بأحد الوالدين من الجنس الآخر ، وفي مرحلة المراهقة فانه نظرا لزيادة نشاط الغدد التناسلية فان الصبي والبنت يميلان الى بدء عملية العادة السرية من جديد .

فاذا عالج الوالدان الصور المبكرة لهذه العادة بغرس الخوف في طفلهم من أنها ستضر بأجسامهم ، وأنهم في ممارستها انما يقومون برذيلة فان الطفل عادة ما يحاول مقاومة ميله لممارستها أثناء المراهقة ، ولكنه ان عجز عن مقاومة هذا الميل — وهذا ما يحدث عادة — شعر بالخوف الشديد والاثم .

« ر » صبي في السابعة من عمره وعده أبوه بساعة ذهبية ان لم يمارس هذه العادة مطلقا عندما يصل الى سن الثامنة عشرة ، ولم يجد « ر » أى صعوبة في الاحتفاظ بتعهده حتى بلغ الخامسة عشرة وعند ذلك بدأ في الاخلال بتعهده لو والده ، وبدأ يعاني شعورا بالاثم وقد سبب هذا فيه اتقباضا وعدم استقرار . ولكن والداه لم يفهما سر هذا التغير الفجائي فيه ، ونسبا هذا الى « آلام النمو » . ولكن العادة السرية قد صارت بمثابة رذيلة في تفكير « ر » حتى أنه لم يستطع الاقضاء بها الى أبيه ، واخباره أنه اضطر الى الاخلال بتعهده معه ، وأنه لم يعد يستحق الساعة بعد ذلك ، ولكن « ر » قد

قبلها عندما قدمت اليه في عيد ميلاده الثامن عشر ، ولم يهتم بها ، وقد فقدتها بعد شهور قليلة .

ولا يمكننا أن نؤكد بشدة أنه ليس ثمة ضرر جسمي يحدث من ممارسة العادة السرية ، كما أن المشاكل الانفعالية قد تحدث من ممارستها ، ولكن هذه تتسبب عن الشعور بالاثم والقلق والعار ، أى عن الامور التى غرسها فى الطفل الأشخاص الكبار الجهلة الذين حوله .

التجريب الجنسى

التجريب الجنسى كالعادة السرية يبدوه الطفل قبل المراهقة بزمان طويل ، فالأطفال الصغار يكونون شغوفين بأجسامهم كشغفهم بباقى الأشياء التى يجدونها فى العالم حولهم ، وهذا يجرحهم لأن يسألوا الأسئلة التى تبدأ بكلمة « لماذا ؟ » ، لماذا نرى السماء زرقاء ؟ لماذا يجب أن ننام ؟ لماذا يذوب الجليد ؟ وبعد وقت ما « لماذا يبدو الصبية مختلفين عن البنات ؟ » فهذا أمر محير بالنسبة للطفل الصغير ، ويجب أن يكتشفه ، فهو يود أن يعرف أسباب هذه الفروق بين جنسه والجنس الآخر .

فاذا قوبلت أسئلة الطفل بالتأنيب أو الاسكات لجأ الى مصدر آخر يستقى منه المعلومات ، أو لجأ الى التجريب . ولذا نرى أطفالا فى الرابعة أو الخامسة أو السادسة يلعبون لعبة الأم والأب ، أو الطبيب والمرضة ، وهذا النوع من

النشاط لا ضرر منه مطلقا الا اذا خاف منه الوالدان أو المدرسون ، وعاقبها الصغار على القيام به . وكل ما تدل عليه هذه الألعاب أن الأطفال يودون أن يطفئوا ظمأهم لمعرفة الحقيقة ، وأن ميلهم هذا قد تحول الى اشكال بنائية من أشكال اللعب .

ولكن الأمر يختلف عن ذلك في عهد المراهقة ، فالأطفال قد أصبحوا الآن قادرين من الناحية البيولوجية على الانتاج، والتغيرات العضوية التي تحدث فيهم تثير ميولا قوية نحو الجنس الآخر يجب التعبير عنها . ويتخذ التجريب في المراهقة



اتجاه محاولة التعرف على أفراد الجنس الآخر، والاختلاط بهم في مواقف اجتماعية ، والتعبير عما يكونه من عطف نحوهم ويحدث هذا في المبدأ بين إبحام وإقبال . فالأولاد والبنات يقبلون لفترة من الزمن على الحفلات والرقص ، ثم يحجمون فجأة عن هذه وينغمسون في نواحي النشاط التي تضم أبناء جنسهم فقط ، وهذا التقلب الشديد في الطفل يكون راجعاً دائماً إلى اتجاهه إزاء دوافعه الجنسية ، فهو يتقبل

اهتمام البنات والاولاد بعضهم ببعض يسير في تزايد وتوقف

هذه المشاعر في وقت ويرفضها في آخر ، أما اذا كان يتقبل طبيعته الجنسية النامية فان تقدمه نحو العلاقات الجنسية الناضجة يكون أسهل وأيسر سيلا .

والفتى الذى يتجاهل تجاهلا تاما الجنس الآخر ، أو الذى يميل اليه ميلا شديدا يجد صعوبة في السيطرة على دوافعه الجنسية ، فكل من الطرفين قد يكون عرضة لمشكلة انفعالية تحتاج الى معونة . (وتكوين علاقات ناضجة مع الجنس الآخر هو احدى الوظائف الأساسية للراشد وسنتحدث بالتفصيل عن هذه المشكلة في الباب الآتى) .

الأطفال فى حاجة الى المعرفة

فى مرحلة المراهقة يمر الطفل فى تغيرات عضوية كثيرة تحتاج الى توافق انفعالى جديد شاق ، فاتجاه الطفل ازاء جسمه الناضج يتحدد الى حد كبير بخبراته السابقة فى طفولته، وبالعلاقته بوالديه ، والطريقة التى عالجا بها ميوله الجنسية السابقة . ولكن هذه فترة عصيبة لكل طفل ، واحدى الوسائل التى تسهل على الأطفال التوافق مع مظهرهم الجديد ودوافعهم وميولهم ، تكون باعدادهم من قبل لهذه التغيرات .

فاذا فهم الشبان أن التغيرات التى تحدث فى أجسامهم هى جزء طبيعى من عملية النمو فعابا ما يتطلعون لحدوث هذه التغيرات ، ويتقبلونها بهدوء ، بدلا من أن يخافوها ، وأن يشعروا بالعار بسببها .

وليس النمو مجرد التوافق للنضوج العضوى ، فالراشد
يجب أن يتوافق أيضا مع التغيرات النفسية ، ويجب أن يكون
علاقات مع والديه والبالغين الآخرين ، يجب أن يبدأ فى التفكير
فى مهنته المستقبلية ، ويجب أن يكون علاقات طيبة مع الجنس
الآخر ، وأخيرا يجب أن يعد نفسه للوقت الذى يأخذ فيه
دوره كمواطن فى الهيئة الاجتماعية . وهذه هى الوظائف التى
تواجه كل شخص بالغ ، وسنناقشها فى الباب الآتى .

العقبات التي يواجهها كل راشد

تكلّمنا في الباب السابق عن التغيرات الجسميّة والمشاكل الانفعالية التي تنشأ في مرحلة المراهقة ، والمراهقة في الحقيقة هي السنوات القليلة الأولى من الرشد الذي يمتد من الخامسة عشرة إلى العشرين تقريبا .

ومرحلة الرشد هي الفترة التي لم يعد فيها الراشد طفلا ولم يصل بعد لأن يكون بالغا ناضجا ، ولكنه قد قطع شوطا بعيدا في طريق النضوج الجسمي ، لكن هذا النضج الجسمي لا يصنع من اليافع بالغا ، ولكي ينتقل الراشد إلى البلوغ الكامل عليه أن يحقق أربعة أهداف :

١ — أن يكون علاقات ناضجة مع الجنس الآخر .

٢ — أن يستقل عن والديه وعائلته .

٣ — أن يتهيأ ويختار مهنة له .

٤ — أن يتحمل مسؤوليته كمواطن .

ولن يستطيع أي فرد تحمل مسؤولية البالغ الكاملة إلا إذا تمكن من تحقيق هذه الواجبات ، أما إلى أي حد يستطيع اليافع ذلك ، فإن هذا يتوقف على السهولة التي مر بها من

مرحلة لأخرى من مراحل نمو شخصيته ، ومقدار توافقه مع التغيرات التي طرأت عليه في وقت المراهقة .

ومرحلة الرشد يمكن اعتبارها مرحلة اختبار لنمو الطفل الانفعالي ، فإذا كانت شخصيته مؤسسة على أساس متين أصبح قادرا على مواجهة مشاكل مرحلة الرشد أى الانتقال الى البلوغ .

وبالرغم من أننا سنعالج مشاكل الراشد واحدة فواحدة إلا أن هذه المشاكل مرتبط بعضها مع بعض ، وبالرغم من أن فشل اليافع في إحدى هذه النواحي قد يكون أكثر ظهورا من فشله في غيرها إلا أن البلوغ الناضج يتوقف على النجاح في كل هذه النواحي .

١ - تكوين علاقات ناضجة مع الجنس الآخر

ان الصداقة والزواج والوالدية تهيمن على حياة الفرد فيما بين العاشرة والعشرين ، هذا ويجب أن يتعلم الفرد كيف يعامل الجنس الآخر ليسعد في حياته الزوجية . فالمواعيد والحفلات والرقص والنزهات والاشتراك في الخبرات المدرسية كل هذه تعطي فرصة للشبان للاعداد الذى هم فى حاجة اليه والتعبير عن العاطفة والاحترام المتبادل بين الجنسين مما ينتج من هذه المناسبات يكون جزءا هاما من اعداد الشباب للزواج والوالدية .

و « السيرباتزان »^(١) خبرة لها قيمتها للشباب ، وبالرغم من أنه لا يدوم طويلا الا أنه يعطى الشاب فرصة اكتساب خبرة عن تكوين علاقة وطيدة مع فرد واحد من الجنس الآخر ، وتعلمه كيف يعمل على أن يسعد شخصا واحدا فقط ، كما تعاونه على تعلم تقييم أعضاء الجنس الآخر ، وتعطيه فرصة الوقوع في الخطأ في اختيار الرفيق حين لا يكون الاختيار دائما وحين تكون الأخطاء عديمة الضرر نسبيا .

لماذا يفشل الراشد

كثير من الراشدين يجدون من الصعب تكوين علاقات طيبة مع الجنس الآخر ، ولعل من الأسباب التي تدعو الى ذلك شعور الشاب بدوافعه الجنسية ، وتتوقف مشاعره هذه الى حد كبير على اتجاه الوالدين نحو المسائل الجنسية، فكما ذكرنا في الباب السابق اذا تعلم الطفل أن أى تفكير أو كلام عن المسائل الجنسية يعتبر رذيلة فقد يحاول أن يخفى هذه المشاعر الجنسية عندما يشعر بها ، فالشاب الذي لا يستطيع أن يعترف حتى لنفسه أنه يميل الى شخص من

(١) المترجم : يقصد « بالسير باتزان » اختيار صديق واحد أو صديقة واحدة تقضى معه الشابة أو يقضى معها الشاب طول أوقات الفراغ - ويتضح فى هذه النقطة الفرق الواسع بين نمط الحياة الشرقية والحياة الامريكية التي تبيح حرية أكبر لكل من الشاب والشابة .

الجنس الآخر لا بد أن يجد صعوبة في تكوين علاقات على نطاق واسع ، ودوافعه الجنسية المقمعة قد تسبب له أيضا مشاكل انفعالية شديدة .

والسبب الآخر الذي من أجله يجد الشبان صعوبة في تكوين علاقات ناضجة مع الجنس الآخر يمكن أن نجده في علاقات الطفل المبكرة مع والديه ، فكما ذكرنا في الباب الثاني يتجه الطفل عادة الى الوالد من الجنس الآخر عندما يصل الى الرابعة أو الخامسة ، والمشاعر التي يحسها نحو هذا الوالد تشكل علاقته بالآخرين من الجنس الآخر ، ولعل حالة « هـ » خير مثال على ذلك .

حالة « هـ »

« هـ » بنت جذابة في السابعة عشرة ، ولكن أحدا من الشبان لم يدعها قط لمرافقته ، وهي تشعر أن السبب في ذلك هو أنفها المتقوس قليلا ، فتغير شكل أنفها في نظرها سيغير مجرى حياتها ، ولذا فلطالما رجت والديها أن يجريا لها عملية تجميل .

ولكن لم تكن أنف « هـ » هي التي سببت فشلها في جذب الشبان بل ان أساس مشكلتها يرجع الى ماضيها ، فعندما كانت بنتا صغيرة لم يكن والدها مهتما بها ، فقد كان يشعر أن رعاية الأطفال الصغار من عمل الأم وحدها ، وأنه ليس من الواجب أن يهتم الوالد بهم الا اذا كبروا ،

وهو يعجب الآن لماذا يقوم حاجز كهذا بينه وبين ابنته الآن ،
 ويعجب أيضا لماذا لا يصاحبها الشبان كما يصاحبون غيرها
 من بنات المنزل ، وهو يعزو هذا الى برودها ، ولكنه ينسى
 أنها عندما كانت في الرابعة أو الخامسة طردها عندما أرادت
 أن تجلس في حجره ، وقال لها أن تذهب الى لعبها ، وهي
 اليوم لا تعرف كيف تصادق الشبان ، ولا تشعر بارتياح في
 مصاحبتهم ، فهي تخشى أن أى اهتمام تبديه لأى شاب قد
 يقابل بالاهمال والطرده ، ففشلت « هـ » في تكوين علاقات
 طيبة مع أفراد الجنس الآخر لم يكن مرجعه الى أنفها بل الى
 فشل والدها في تكوين علاقات حارة معها .

ولعل من حالات سوء الحظ
 كذلك حالة الصبي الذى كان
 يعارضه أبوه الغيور غير الناضج
 عندما كان يبدى عطفه فى صغره
 لأمه ، فقد يشب وهو يشعر بعجزه
 عن تكوين أى عاطفة من أفراد
 الجنس الآخر. ولا يستطيع الفرد
 أن يشعر بقيمة نفسه ، ذلك
 الشعور اللازم لتكوين التوافق
 الطيب مع أفراد الجنس الآخر
 إلا إذا كان قد كون علاقات
 سارة فى طفولته مع والده من
 الجنس الآخر.



العلاقة الطيبة بين الوالد وابنته
 تسهل على البنت توافقها
 الجنسى فى المستقبل

اتجاهات البالغين

ويتلخص السبب الآخر الذي من أجله يفشل الأطفال في تكوين علاقات مع الجنس الآخر في ما يقيمه الآباء والمدرسون من عقبات حيال المحاولات التي يبذلها الأطفال في التعرف على بعضهم ، فما السبب الذي من أجله يعترض كثير من البالغين على العلاقات بين الفتيان والفتيات ؟ هناك أسباب عديدة منها :

١ - يخشى كثير من البالغين أن الشاب إذا اهتم بالجنس الآخر يخسر سمعته الطيبة .

٢ - يخشى الآباء والمدرسون كذلك من أن العلاقات الوطيدة بين البنين والبنات سينتج عنها زواج مبكر لم يستعدوا له ماديا أو انفعاليا .

٣ - هم يخافون أن هذه الصداقة وخاصة « الصداقات المتزنة » قد ينتج عنها العملية الجنسية وما يجره ذلك من أمراض وحمل وعار .

٤ - عندما يبدأ الشاب أو الشابة ابداء اهتمام نحو الجنس الآخر فقد يجعل هذا آباءهم يبدون كبار السن « ويهملون على الرف » ، كما أن الآباء يشعرون بأن علاقاتهم مع أبنائهم ستضعف باهتمامهم بالمصاحبة والمقابلات .

٥ - كثير من البالغين يحكمون على العلاقة بين الفتيان والفتيات بما كان سائدا عندما كانوا صغارا ، ففى عهدهم لم يكونوا يحظون بحرية كبيرة فى مثل هذا السن كالتى يحظى بها الشبان فى هذا الوقت . فكثير من الآباء يقيسون تصرفات أبنائهم بهذه المعايير القديمة .

دعهم ينمون

كثير من مخاوف الآباء والمدرسين عن علاقة الشبان راجعة الى تقارير الجرائد المخيفة والاشاعات عن أطفال قاموا بالعملية الجنسية ، ولكن الحقيقة الهامة هى أنه اذا تعود الطفل احترام مشاعر الآخرين والمسئولية الاجتماعية واذا أمكن معاونته على أن يتوافق مع دوافعه الجنسية الأولى فان علاقاته فى مرحلة الرشد ستكون سليمة ، والأطفال الذين بينهم وبين والديهم علاقات سعيدة والذين نمت شخصياتهم نموا صحيحا يسلكون طريقهم نحو الزواج دون تعرض لسوء الخلق أو العار .

ولن نكسب شيئا بوضع القيود الصارمة فى الحياة الاجتماعية للراشدين، فاذا فرضنا عليهم القوانين التى تتحكم بها فى مقابلاتهم وأوقاتهم وملابسهم ، وأجبرناهم على سلوك يختلف عن السلوك المسموح به لغيرهم فى بيئتهم جلبنا لهم التعاسة، وأوقعناهم وأوقعنا أنفسنا فى مشاكل. فاهتمام

الشباب بالجنس الآخر جزء من محاولة الشباب الوصول الى النضج ، والوالد العاقل هو الذي يواجه هذا الاهتمام ويعاون طفله على ذلك بالاهتمام بأصدقائه ، ومناقشة أوجه نشاطه ومشاكله معه ، وافهامه أن الصداقة والحب بين البنين والبنات هامة ومفيدة .

٢ - الاستقلال عن الوالدين

والتخلص من القيود العائلية والاستقلال عنها هو واجب أساسى آخر للراشد ، وكثيرا ما يسبب هذا له مشاكل انفعالية . فالراشد يخاف أحيانا تحمل المسئوليات ومقابلة العقبات التى يجرها عليه هذا الاستقلال ، وأحيانا لا يسمح له والداه بقدر كبير من الحرية .

اتجاهات الآباء

وكثير من الآباء يفرضون قيودا شديدة على أطفالهم ، فيرفضون السماح لهم بأى نوع من أنواع الاستقلال الحقيقى ، وقد يكون هذا راجعا لرغبتهم فى حماية أطفالهم من الضرر ، أو لشعورهم بأن أطفالهم لم يهيئوا بعد للاستقلال .

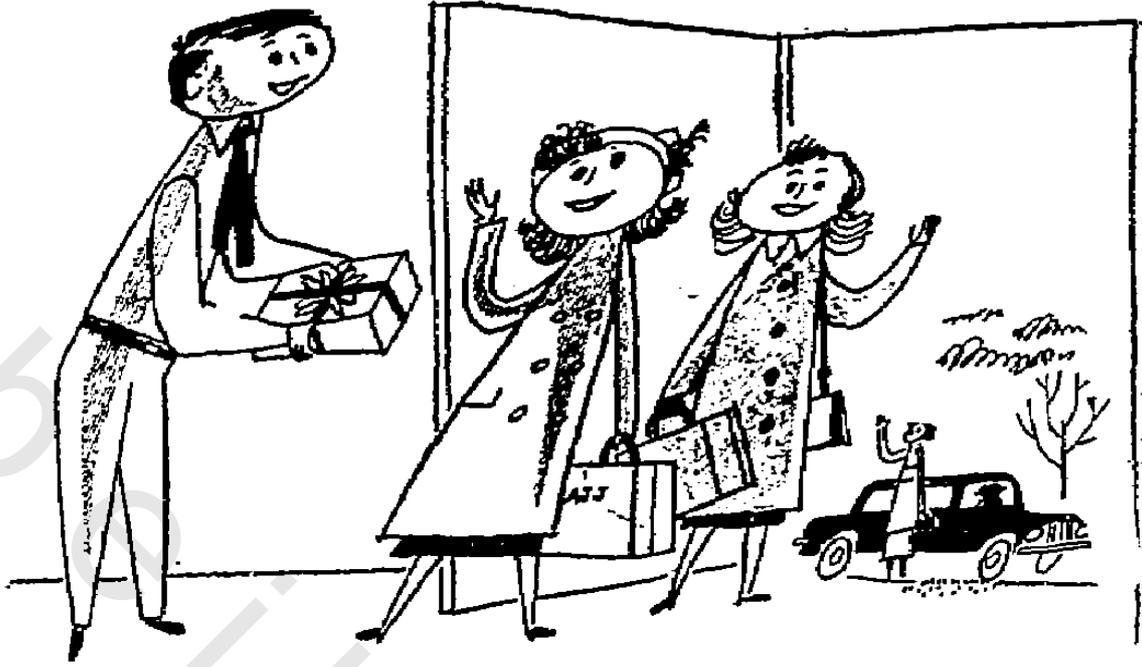
وكثير من مخاوف الآباء فى هذه الناحية لا أساس له فقد كان أمامهم أربعة عشر أو خمسة عشر أو ستة عشر عاما يعلمون فيها أطفالهم الخلق الصحيح ، فاذا استطاعوا أن يكتسبوا محبة واحترام أبنائهم فى هذه الفترة فانهم لن

يخشوا على أطفالهم الزلل أو الانحراف عما تعودوه في طفولتهم .

ولسنا نشك في أن الشاب سيقع في بعض الأخطاء عندما يستقل ، ولكن هذه الأخطاء ضرورية إذا أردنا له أن يتعلم ادارة شئون نفسه ، وأن يصبح عضوا مسئولا في المجتمع ، ويستطيع الآباء أن يعاونوا أطفالهم على هذا بالسماح لهم بالاشتغال بعمل ما جزءا من وقتهم أو بالخروج في رحلاتهم في نهاية الأسبوع، وبترك الحرية لهم في مقابلاتهم ومواعيدهم، فان كنت تتوقع أن يحدث للشاب شر فقد يبدو له أنك تتوقع أن يقوم هو بعمل الشر ، وان كنت تتوقع له الخير فمن المحتمل أن يقوم هو بعمل الخير .

جهود الراشد

ولا يعمل اليافع على أن يحصل على استقلاله الا اذا تقدم تقدا منتظما في المراحل الأولى من نمو شخصيته ، فاذا لم يكن قد لاقى تشجيعا في التفكير والتصرف معتمدا على نفسه فلا يمكن أن ننتظر منه أن يصل الى مرحلة الرشد راغبا أو قادرا أن يفعل ذلك دفعة واحدة ، أما اذا كان قد لاقى تشجيعا على التصرف الاستقلالي منذ الطفولة الأولى - ووجد تقديرا لجهوده - تقدم تقدا مطردا حسنا أثناء مرحلة رشده .



الرحلات فى أيام العطلة واختيار الاصدقاء
تساعد الفتىان على تعود الاستقلال

واليك مثال : « ا » بنت صغيرة تعودت أن تساعد أمها فى الأعمال المنزلية وشراء الحاجيات ، فليس عجيبا أن نراها فى سن التاسعة عشرة صاحبة محل للهدايا ، وتجد لذة كبيرة فى عملها هذا وتكسب منه مكسبا كبيرا !

وعلى العكس من ذلك حالة « ل » وهى بنت فى العشرين من عمرها ، وجدت صعوبة كبيرة فى الابتعاد عن أهلها عندما ذهبت الى مدينة أخرى لتلتحق باحدى الوظائف واضطرت أخيرا الى ترك الوظيفة والعودة الى منزلها ، وهى الآن مستقرة بالمنزل تساعد أمها فى أعمال المنزل . لم يكن يسمح والدا « ل » لها بعبور الشارع بمفردها حتى بلغت الحادية عشرة من عمرها ، ولم يكن يسمح لها مطلقا أن تشترك فى

مناقشات العائلة ، وكانت أمها تشتري لها كل ملابسها ، كما كان والدها يشرف على سيرها في المدرسة واختيار مواد الدراسة ، وقد كانت منعزلة في طفولتها عن الحياة حولها ، وقد أصبح كل شيء ما عدا منزلها وعائلتها مخيفا لها وغريبا عليها .

فالشاب الذي يضطر أن يقف على قدميه فجأة عندما يبلغ الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة يحتمل أن يجد صعوبة كبيرة في الاعتماد على نفسه ، بل وقد يراه عملا مخيفا وقد يتراجع الى حالة الطفولة التي يعتمد فيها على غيره ، أما الطفل الذي تعود على تحمل المسؤولية تدريجيا منذ طفولته الأولى ويعلم في نفس الوقت أن والديه من ورائه يحميان مايقوم به من أعمال يمكنه أن يتحمل المسؤولية إذا شب مشبعا بثقته بنفسه وبشغف كبير لتحمل هذه المسؤولية . كما أنه قلما يفكر في فصم عرى الروابط العائلية ، ذلك لأنه سينتقل ويبحث عن الارشاد المحبب اليه والتشجيع الذي يلقاه دائما من والديه لأنه يعلم أنهما يعضدانه ويوافقان على رغبته في الاستقلال .

٣ - اختيار المهنة والاعداد لها

وهناك واجب آخر على الشاب أن يعمل به وهو اعداد نفسه للاستقلال ماليا ، فيجب أن يجيب على مثل هذه الأسئلة عندما يصل للمدرسة العالية « ماذا أريد حقيقة أن أقوم به

من الأعمال ؟ » ، « أى ميادين العمل أميل إليها أكثر من غيرها ؟ » ، « هل أستطيع أن أنال التدريب اللازم للمهنة التى أودها ؟ » ، « وكيف أضمن أن أجد وظيفة فى ميدان العمل الذى أعد نفسى له ؟ »

ويساعد الشاب على اجابة هذه الأسئلة برامج التوجيه المدرسى والارشاد المهنى ، كما تساعده على ترتيب الخطة الناجحة لمستقبله ، وعن طريق مثل هذه البرامج يعرف الشاب الكثير عن أنواع مختلفة من الأعمال ؟ وبمساعدة المرشد أو الموجه النفسى يستطيع أن يعرف أيضا قدراته وميوله واستعداداته .

ولكن الارشاد المهنى لا يساعد الا الشاب الذى لديه اتجاه عقلى صحيح نحو العمل ، وفكرة الطفل عن العمل كغيرها من المدركات تتكون مبكرا فى حياته .

البيئة المنزلية لها أهميتها

ويمتص الطفل مشاعره الأولى عن العمل من الجو المنزلى وشعور والديه . فمثلا لا تحب « ل » أن تفكر جديا فى اختيار موادها الدراسية ورسم الخطة لمهنة مستقبلها قد قالت للموجه حديثا « ليست المهنة سوى عملا تقوم به لأن الناس يصرون على أن نعمله ولكننا فى الحقيقة أمانة ثقيلة فى العنق ووالدى يقول ان الجنة هى المكان الذى لا يكون لدينا فيه ما نعمله » . وقد كان والدها حقيقة يكره

العمل وينتقل من عمل لآخر لا يجد ميلا لأحدها . فاذا عرفنا هذا فكيف لنا أن نتظر منها الا فكرة مشوهة عن العمل؟! ولكن والدي « س » يعملان سويا عملا متواصلا شاقا في محل بقاتلتهما ، والوقت الضئيل الذي يتبقى يصرفانه في اعداد المنزل ، ولم يكن لدى « س » فرصة لأن يعمل شيئا مع والديه ، فلم يذهب معهما مثلا الى السينما أو في رحلة ونزهة الى حديقة الحيوان ، وكان جو المنزل مشبعا دائما بالعمل والقلق ، وكان « س » يشعر دائما بالاهمال والضيق ، فكيف نتظر له أن ينظر الى العمل لا كأنه وسيلة للعيش فقط بل وسيلة أيضا للسرور والهناء ؟

« ا » صبي في التاسعة عشرة لم يوفق في دراسته بالكلية وقد قال للموجه انه يشعر بأنه تافه القيمة عديم الفائدة ، وانه لا يجد أية لذة في دروسه ولا في حياته الاجتماعية وقد كان الولد الوحيد لوالدين ميسوري الحال ، فكان دائما بعيدا عن كل الحقائق المؤلمة له، وقد شعر أبوه وأمه بأن اصدار القرارات وتحمل المسؤوليات ينبغي ألا تنغص حياة هذا الصبي ، فكلما كان يسأل سؤالا كان الجواب « انتظر حتى تكبر » ، وعندما أراد أن يتخذ لنفسه عملا يشغل به جزءا من وقته ، وعندما أراد أن يتخذ لنفسه التجارة هواية في أوقات فراغه قال له والداه « لماذا لا تلعب طوال الوقت وتمتع نفسك بهذا اللعب ؟ » ، وعندما أحب أن يناقش عمله المستقبل معهما قالوا له « لا تشغل بالك بهذا الآن فما عليك

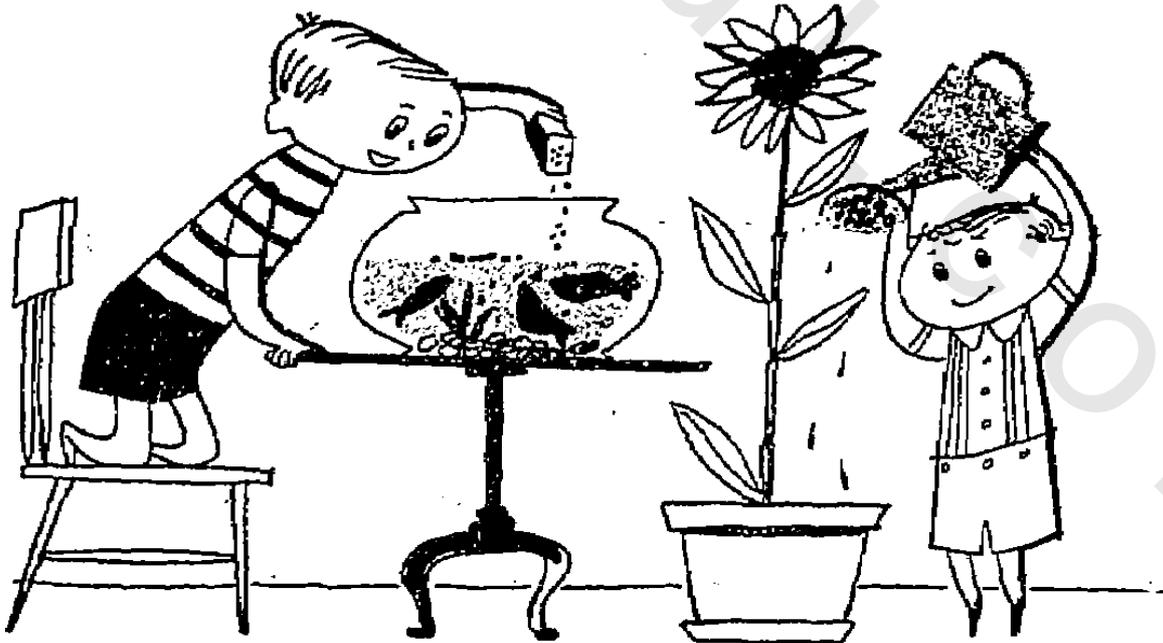
الا أن تذهب للمدرسة» ، وقد وصل « ا » الى مرحلة لا يرى أمامه فيها الا مستقبلا غامضا لا هدف له ، ذلك لأنه لم يسمح له أن يعمل لهدف مهني ، أو أن ينظر لنفسه كشخص صالح لتقرير مصيره بنفسه في الحياة ، ولذلك فهو الآن لا يثق في شيء سواء كان ذلك في دراسته أو في حياته الاجتماعية أو في موقعه من الحياة .

التدريب على العمل وعلى حب العمل

فكيف يتسنى لنا نحن الآباء والمدرسين أن نكون في الأطفال اتجاهات بناءية صحيحة نحو العمل ، إليك المقترحات الآتية :

١ - اجعل ابنك يشترك معك في شئون المنزل :

فاطعام سمك الزينة وزراعة الأزهار وغسل الأطباق وكنس مدخل المنزل كل هذه يجد فيها الأطفال لذة وتعاونهم على أن يشعروا بقيمتهم .



تعلم العمل وحب العمل يبدأ في المنزل مبكرا في الطفولة

٢ - اجعل الطفل مسئولاً عن بعض الاعمال المنزلية :

فالطفل الذى عليه مسئولية تقليم حشيش الحديقة وتنظيف حجرة الجلوس من الغبار كل أسبوع وحفظ حجراته مرتبة نظيفة سيجد فيما بعد سهولة فى تحمل مسئولية عمله فى المستقبل ، كما أن الأعمال المنزلية تعاون على تكوين عادات العمل الطيبة .

٣ - كن كريماً فى مدحك : فالطفل الذى ينظف العربة

لأول مرة أو يرتب فراشه فقد لا يتقن هذا العمل فى الأول ، ولكنه من المهم أن يحظى بالتقدير ولو كان التقدير على صيغة « محاولة لا بأس بها » ، فالناس يقومون بأحسن الأعمال اذا عرفوا أن غيرهم يقدر جهودهم ، وهذه حقيقة تنطبق على الكبار كما تنطبق على الأطفال الصغار .

٤ - أشرك طفلك فى رسم الخطط العائلية : ويجب

ألا يقتصر معاونة الصغار فيما يعود على العائلة بالفائدة على التنظيف والأعمال البسيطة ، بل يجب أن نشاركهم فى خططنا ومشاكلنا دون أن نرهق كاهلهم بأحزاننا وما يقلق بالنا سواء كان من الناحية المالية أو غيرها . فالأطفال فى سن

المدرسة يمكن أن نخبرهم لماذا تعمل العائلة على توفير بعض المال وما شابه ذلك من الأمور المنزلية ، فهذا قد يجعلهم متعقلين مثلا في تأجيل طلبهم للملابس الجديدة أو في المطالب اليومية ، كما أن هذا يعطى الطفل بداية حسنة في تفهم ومواجهة الحقائق المالية للحياة .

٥ - شجع طفلك على اكتشاف العالم الذى حوله :

فالأطفال الصغار حماس واهتمام لا حد لهما بالناس والأشياء فهم يودون أن يعرفوا كيف يسوق السائق العربية وكيف يبنى البناء المنزل وكيف يغذى الفلاح حيواناته ، فبتشجيع ميل طفلك لمعرفة كيف تعمل الأشياء عملها وكيف تصنع فانك تجعل العمل جذابا فى نظره ، وهاما بالنسبة له .

٦ - ولكن لا تثقل على طفلك : فكثير من الآباء

طموحون بالنسبة لأولادهم ، فقد طولبت «ن» مثلا بأن تأخذ دروسا للرقص بعد انتهاء الدراسة كما تقوم بعزف البيانو ساعة كل يوم كما عليها أن تقضى وقتا أطول فى واجباتها الحسابية حتى تحتفظ بتقديرها السابق فيه ، فالأطفال الذين يجدون ضغطا شديدا يكونون معرضين لكره

العمل كرها دائما ، بل وأحيانا تزيد حالة التوتر
فيهم فتنشأ معهم حركات عصبية أو لعثمة في
الكلام .

٧ - وأخيرا تذكر أن اختيار المهنة أمر يتعلق بالطفل :
ففى بعض الأحيان ينساق بعض الآباء وراء
طموحهم فى أن يسير أولادهم حسب الخطة التى
ساروا هم عليها ، أو حسب الخطة التى يريدونها
لهم ، ولكن اذا لم يكن للشاب ميل أو استعداد
لهذا النوع من العمل - سواء كان القانون أو
الهندسة أو الموسيقى أو الأدب أو الميكانيكا -
وأجبروا على الدخول فيه تتج عن ذلك فشله فى
عمله ، وقد يتبع ذلك مشاكل انفعالية خطيرة .

فالاختيار الناجح للمهنة اذن يتوقف على : (١) الاتجاه
الصحيح نحو العمل الذى استمده الشاب غالبا من والديه
فى السنوات الأولى من طفولته ثم (٢) ارشاد الشاب الى
المهنة التى تتناسب مع ميوله وقدراته ، وفى هذا المضمار
يكون للمرشدين وهيئة المدرسة فائدتهم العظمى ، ويشترك
المنزل مع المدرسة فى مسئولية مساعدة الشباب على
الاستعداد للاستقلال المالى ، الذى هو خطوة هامة فى تكوين
الشخص الناضج .

٤ - تحمل المسئولية كمواطن

وبجانب حل الثلاث مشاكل التى عالجتها - - التوافق

مع الجنس الآخر – التحرر من القيود الوالدية – اختيار مهنة المستقبل – يجب أن يتعلم الشبان كيف يأخذون دورهم في حياة المجتمع ، فالمجتمع يعتمد على اشتراك جميع أفرادهِ في الأعمال التي تؤدي الى الصالح العام .

ولن يكون الشاب شخصا ناضجا الا اذا أخذ دوره في حياة المجتمع طائعا مختارا ، والا اذا كان عالما بأهدافه ومراميه ، والا اذا كان فاهما لمشاكله ، وراغبا رغبة أكيدة في المعاونة في حلها ، والا استمر شخصا يعيش داخل نفسه ناقص النضج .

وليس الوصول الى هذا النوع من النضج بالأمر السهل ويمكن أن يكون للوالدين والمدرسين فائدتهم في هذا بما يضربونه لهم من مثل ، فلا يمكن أن نتظر من الأطفال أن يعملوا « كما نقول لا كما نفعل » ، بل يجب أن نوضح لهم أننا مهتمون بالتعاون على تحسين المجتمع ، فبذلك نقوى أطفالنا ونقوى مجتمعنا .

دلائل التوافق الضعيف

قرر مرة أحد خبراء الطيران أن يدرس النحل ، وكانت النتيجة التي خرج بها أن النسبة بين حجم جسم النحلة وجناحها تجعل من المستحيل رياضيا على النحلة أن تطير ! ولكن النحلة لم تعبأ بهذا الاكتشاف وأخذت في الطيران ! فالآباء والمدرسون كهذا الخبير ينظرون أحيانا الى سلوك الشاب واتجاهاته ويقررون أنه لا يستطيع الوصول الى مستوى خاص ، فهم يشعرون بأنه سيتعرض لمشاكل جسيمة ، ولكن عنى الرغم من هذه التنبؤات الجريئة نجد أن الشاب يسير في طريقه الى النضوج بسرعة مدهشة !

خاف والدا « ج » ومدرسوه خوفا شديدا عليه عندما كان في الثالثة عشرة ، فقد كان متمردا في المنزل ولم يكن له صديق واحد ، وقرر أن يهجر المدرسة ويذهب الى العمل ، ولكنه عندما وصل الى السادسة عشرة تغيرت الصورة تغيرا تاما ، فقد كسب « ج » ميدالية لتفوقه في عمله ، كما اشترك في جماعة كرة السلة في الجامعة ، كما كون لنفسه بعض الأصدقاء الطيبين ، وأصبح تواقا الى أن يكون صانع أدوات في مستقبل حياته .

وحتى الأشخاص المدربون على سلوك الشبان يحجمون عن التنبؤ بمصير الشاب ، فكثير من التغيرات الجارفة تحدث في هذه الفترة ، فالذى يبدو كدليل على متاعب جسيمة في الشخصية قد يكون تجارب يقوم بها الشاب لمعرفة الوسائل التى يعالج بها انفعالاته الجديدة التى ظهرت فيه ، وهو فى أثناء هذه التجارب يتأرجح بين طرفى التقيض فقد يجرب الطاعة مرة مثلاً ثم التمرد بعد ذلك قبل أن يستقر فى حالة متوسطة من الاكتفاء الذاتى .

وقد تكون وطأة النمو شديدة على الشاب ، وقد تنشأ عنده مشاكل لا تختفى — كأغلب مشاكل الشباب التى لا تختفى أثناء عملية النمو ، وقد تنشأ أمامه مشاكل تعرقل نموه الافعالى الصحيح .

فكيف يتسنى لنا أن نعرف ما اذا كان الشاب يعانى مشاكل حقيقية أم أنه لا زال يحتاج الى متسع من الوقت حتى يكتشف خير السبل لمعالجة « نفسه » الجديدة ، واليك بعض الدلائل الشائعة للتوافق الضعيف فى الشبان ، دلائل على أن الشاب فى بحر عميق ويحتاج الى المعونة .

الخوف والقلق

الخوف هو الانفعال الذى نحسه اذا هددنا شئاً ، فهو رد فعل طبيعى ولازم ، ولكن اذا خاف شخص حينما لا يكون هناك ما يدعو للخوف يسمى الخوف قلقاً . فالفرق الكبير

بينهما أن الخوف هو رد فعل على خطر خاص معروف ، أما القلق فهو رد فعل على شيء مخيف بين جوانحنا، فهو خوف من أن شيئاً سيئاً على وشك أن يحدث لنا .

والشبان معرضون للقلق لأنهم يعالجون مشاكل جديدة عديدة ، تسبب لهم صراعات داخلية ، فالدوافع الجنسية التي تظهر في المراهقة كثيراً ما تكون سبب القلق ، فإذا ما حاول الشاب قمع هذه الدوافع لأنها دوافع « شريرة » قد يحدث القلق نتيجة لذلك . ولكن هذا لا يعنى أن الشاب يجب أن يرضى رغباته الجنسية عملياً حتى يتجنب القلق ، ولكنه يحتاج فقط لأن يواجهها ولا يخشاها فالشاب يستطيع التحكم فيها دون أن يتجاهل وجودها في نفسه ، ويستطيع الآباء والمدرسون معاوتته في هذا بجعله يدرك أن ليس ثمة خطأ أو عيب هناك في أن يكون لدى الشخص شعور جنسى .

وقد يكون لدى بعض الشبان قلق في مواقف خاصة بينما يكون لدى البعض الآخر قلق دائم يستمر طول الوقت . فتصبح الحياة مخيفة لهم في ذاتها ، ويصبح كل توافق جديد مهدداً لهم . فيصبحون غير مستقرين لا يهدأون وغير قادرين على تركيز انتباههم في شيء لمدة طويلة . وفي هذه الحالة تقل كفاءتهم وسعادتهم . وفي كثير من الحالات يكون القلق أكثر ايلاًما لصاحبه من الآلام الجسمية فإذا عانى.

الشخص ألما في أسنانه مثلا فانه يعرف سبب شقائه ، ويعلم أن هناك وسائل لانهاء هذا الشقاء ، ولكن اذا عانى شخص قلقا ، فلا يبدو له أى سبب خاص لما يعاينه ، كما لا يستطيع أن يعبر عن شقائه ولا يجد أملا في التخلص منه .

المخاوف التسلطية

المخاوف التسلطية مخاوف غير منطقية من أشياء أو مجموعة أشياء ، فيجمع الشاب مشاعره بالقلق ويصبها على موقف واحد معين أو شيء يستطيع محاولة تجنبه ، والشئ أو الموقف قد يكون أى شيء تقريبا ، كالقسط أو الحصن أو الفيران أو العناكب أو المياه الجارية أو الزوابع الكهربائية أو المصاعد أو الزحام أو المساحات الواسعة أو من الوحدة .



القسط والفيران والماء والمصاعد وتقريبا كل شيء يمكن أن يصير سببا للمخاوف التسلطية

وما دام يستطيع تجنب الشيء أو الموقف الذي يخشاه فإن الشخص الذي يعاني هذه المخاوف التسلطية يبدو كأنه يسير سيرا طبيعيا ولا يظهر عليه القلق إلا اذا واجهه هذا الشيء الخاص أو المناسبة ، ويصبح الموقف الخاص بمثابة المثير لكل مخاوفه التي يجهلها ، واليك مثلا يوضح كيف تنشأ هذه المخاوف التسلطية ، وكيف يمكن بازالة الأسباب أن يتخلص الشخص من مخاوفه التي لا تتبع منطقا .

مخاوف « ج » التسلطية

« ج » كانت بنتا جذابة في الخامسة عشرة من عمرها ، نشأ لديها خوف من الخروج الى الشارع وحدها ، وقد رقت مع اثنتين من صديقاتها أمر أخذها من المنزل الى المدرسة ثم اعادتها الى المنزل ، وكانت تستغرق جزءا كبيرا من وقتها بالمدرسة في قلق من أن لا تجد صديقتها ليأخذها الى المنزل . وكانت حسنة السلوك وذكية في المدرسة ، ومنسجمة مع زميلاتها في الفصل الا أنها كانت لا تخرج معهم الى الرقص أو للنزهة ، ويبدو أن الخوف التسلطي بدأ بوفاة أبيها منذ سنوات قليلة ، ولم تستطع « ج » شرح سببه ، ولكنها كانت تقول انها تخاف على وجه الخصوص أن تكون بمفردها في الشارع عندما « يكون بالشارع أضواء ناصعة وأناس كثيرون » فماذا يكون سبب هذا الخوف غير المنطقي في بنت جذابة في الخامسة عشرة ؟

نظرا لأن « ج » كانت الطفل الوحيد لوالديها ، فقد كانت متعلقة بهما تعلقا شديدا ، وخاصة بأبيها وقد كانت وفاته صدمة شديدة لها ، وحولها ذلك الى زيادة تعلقها بأبيها أكثر من أى وقت مضى ، فقد كانت ترى فى والدها المثل الأعلى ، ولم يكن يغادر ذاكرتها .

وقد أصبحت « ج » الآن كأى شابة أكثر تعلقا بالشبان ، ولكنها كانت تفسر هذه المشاعر على أنها مغريات تحفزها على عدم الاخلاص لذكرى أبيها ، فكلما وجدت نفسها فى مواقف اجتماعية مع الشبان أو كما تقول هى « كلما وجدت نفسها وسط أضواء ساطعة وجمع من الناس » كانت « المغريات » أقوى ، فكلما سمحت لنفسها بشيء من المرح أو الاهتمام بالفتيان اتابها شعور أليم بالاثم .

ولقد حاولت « ج » أن تتجنب الاجتماعات ، ولكن هذا لم يكن كافيا ، وكان من الواجب عليها أن تتجاهل كل المغريات بخلق موقف من مواقف الخوف التسلطى الذى يظهر عندما تكون فى الشارع ، وبمعنى آخر أخذت « ج » عن طريق لاشعورى مخاوفها الداخلية وألقت بها على شيء خارج نفسها .

وقبل أن تشفى من هذا الخوف التسلطى كان من الواجب معاوتها على أن تفهم نفسها أكثر من ذلك ، وأن تحيا حياة أكثر وثاما مع مشاعرها الجنسية الطبيعية .

المتسلطات

في المخاوف التسلطية تنقل مشاعر القلق الى موقف أو شيء يستطيع الشخص أن يعمل على تجنبه ، فطالما يستطيع تجنبه فهو يستطيع تجنب حالة القلق ، وهناك وسيلة يتخلص بها من القلق ، وذلك بأن يخترع لنفسه أسلوبا خاصا يجعله آمنا كلما نفذه باخلاص تام . والشخص القلق يشعر بأن أشياء خاصة يجب أن تعمل بطريقة خاصة دون أي تحريف في هذه الطريقة ، والا فان شرا سيقع لا محالة ، ولكنه لا يستطيع أن يشرح الغرض من عمل هذه الأشياء ، أو ما الذي يحدث اذا ما عملت هذه الأشياء بالطريقة الصحيحة .



كل الاطفال لهم بعض العادات التسلطية عديمة الضرر ولكل واحد منا عادات بسيطة تسلطية لا ضرر منها ، « فلمس الخشب » مثلا مثال شائع للسلوك التسلطي ولكن المتسلطات قد تكون من القوة بحيث تسيطر على كل سلوك

الشباب ، فتوجهه الى القيام بأفعال خاصة بطرق خاصة ، « ت » مثلا يعيش في خوف دائم من التجسس ، فهو يغطي مقابض الأبواب بمنديله حتى يتجنب لمسها ، ويغسل يديه عدة مرات كل يوم ، وفي المدرسة يمسح يديه ببعضهما كأنما يدعكهما مرارا وتكرارا .

والسلوك التسلطي قد يتمركز أحيانا حول الذهاب الى السرير في المساء ، أو خلع الملابس في خطوات خاصة ، أو تعليق الملابس بوضع خاص ، أو عدم تغيير أى تفاصيل في قراءة الصلوات ، وإذا تغير جزء من العمل فإن الشئ بأكمله يجب أن يعمل من جديد ، ويعمل بالطريقة الصحيحة .

الطفل « الطيب جدا »

قد يبدو من الخطأ أن نعد الطفل الذى يعمل كثيرا ، وذا الضمير الحى والمؤدب ، والذى يميل الى ارضاء غيره ضمن حالات المتسلطات ، أو ضمن أمثلة التوافق الضعيف ، مع أن هذا قد يكون موضعه فى الواقع . فحرص الشخص الزائد على أن يتقن عمله ، والمبالغة الشديدة فى أن يكون خيرا فى سلوكه ، كل هذه قد تكون فى بعض الأحيان دفاعا ضد قلق داخلى ، فالشباب فى هذه الحالة انما يعمل جهده على أن يتجنب ما يعتبره سلوكا رديئا ، ولكن ما يعتقده شيئا قد لا يكون فى الحقيقة الا السلوك الطبيعى .

والسلوك التسلطي من هذا النوع يظهر أحيانا فى

المراهقة ، عندما تنشط الدوافع الجنسية ، ويرى الطفل أن مجرد كونه مطيعا وطيبا لم يعد كافيا لجعله في حالة ارتياح ، فيضيف كثيرا من الأعمال التي لا معنى لها في أسلوب حياته ، محاولا بذلك أن يتغلب على مشاعره ، وسرعان ما يضع جل وقته في عمل هذه الأشياء بدلا من القيام بعمل بنائى له قيمته .

كانت « ف » تلميذة مجدة في الخامسة عشرة لم تتخلف مطلقا عن مقدمة فصلها ، وعلى الرغم من أنها كانت تصرف جزءا كبيرا من وقتها في الاستذكار ، إلا أنها تصر الآن على أن تبلغ مرتبة الكمال في عملها المدرسى ، فهي تذاكر واجباتها ولن تذهب الى المدرسة الا اذا حفظت ما هو مطلوب منها عن ظهر قلب ، وقد عملت لنفسها نظاما خاصا لاعداد دروسها ، فالكتب يجب أن ترتب بوضع خاص على مكتبها ، والأقلام يجب أن توضع بحيث تشير أطرافها جميعا الى اتجاه واحد ، والأوراق يجب أن تجمع في مجموعات تحتوى كل مجموعة على خمس ورقات .

وفي الحقيقة أن « ف » انما تحارب بهذه المظاهر دوافع داخلية تدفعها لأن تثور على السلطة ، ولأن تقلل من عملها ، ولأن تمتع نفسها أكثر من ذى قبل ، ولكن هذه الرغبات تخيف ضميرها ، ولكي تمنع حدوث الصراع بين ضميرها ودوافعها الداخلية ، فقد لجأت الى زيادة العناية في عملها

فصارت تتبع ذلك النظام الزائد الذى ابتدعته حتى فى اعداد أدواتها قبل المذاكرة .

والمتسلطات وسيلة أخرى لنقل القلق الداخلى الى المناسبات الخارجية ، فالشاب يذل جهده ليجد مخرجا من الدوافع التى تهدده داخل نفسه والتى لا يستطيع تحملها ، ولكنه لن يكون شاعرا بأسباب قيامه بهذه الأعمال ، فمن حالات الأطفال والبالغين الذين أمكن معاوتهم على التغلب على مثل هذا السلوك ، عرف الأطباء النفسيون أن هذه وسيلة يلجأ اليها الشاب ليطمئن نفسه . « ت » انما يبرهن لنفسه وللعالَم أنه نظيف وليس قدرا ، و « ف » تحتج معلنة أنها بنت طيبة وليست رديئة ، والشاب الذى يعانى سلوكا تسلطيا يجب أن يبرهن أنه ليس شيئا هو فى الحقيقة يود أن يكونه .

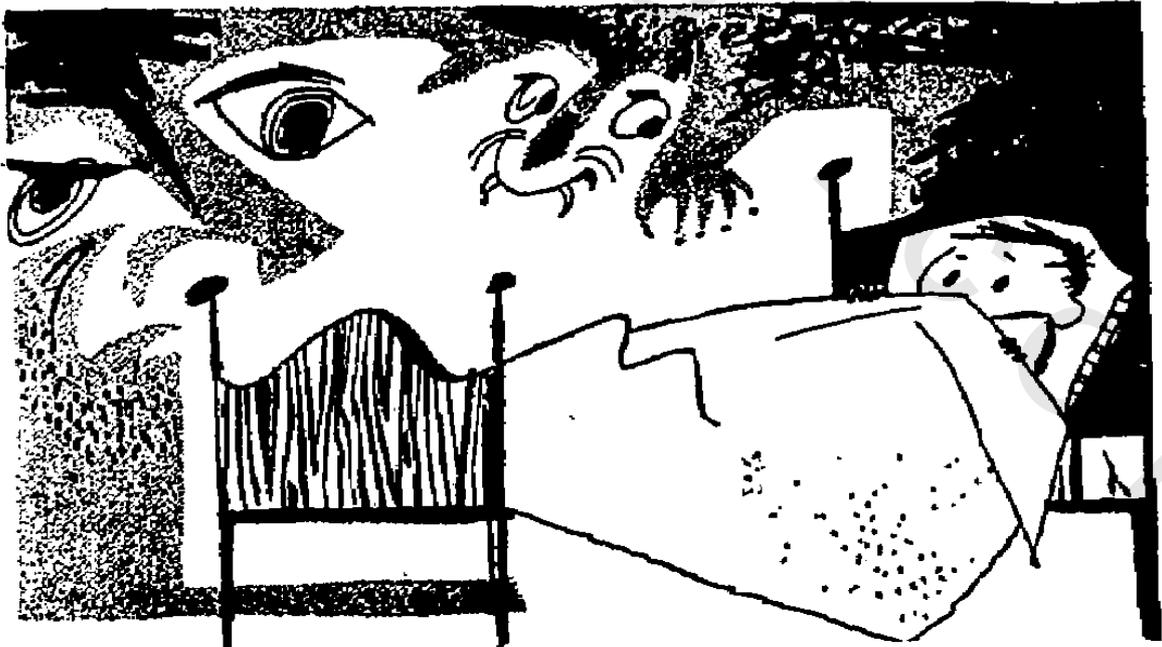
وحل مشكلة المتسلطات فى الشباب ينحصر فى مساعدة الفتيان على أن يروا أن دوافعهم دوافع طبيعية ، وتشجيعهم على تقبلها ، ومعاوتهم على وضع معايير للسلوك يمكن الوصول اليها ، ويحتاج هذا فى بعض الأحيان الى مساعدة شخص اختصاصى كالطبيب النفسى الاجتماعى ، أو الاختصاصى النفسى أو الطبيب النفسى .

الأحلام المزعجة

والدليل الآخر على ضعف التوافق تكرار حدوث الأحلام المزعجة ، فالكابوس هو الحلم بأشياء مخيفة ، أو

خطيرة حين يتكلم الشاب أو يصرخ أثناء نومه ، وقد يجلس في سريره وعيناه مفتوحتان محاولا التغلب على الخطر الخيالي ، وقد يتذكر أو لا يتذكر هذا الحلم في الصباح التالي .

وقد تكون المخاوف المزعجة هي الطريق الوحيد الذي يعبر به الشاب عن خوفه ، وهذا يعنى أنه قد نجح في الاحتفاظ بسيطرته على مخاوفه أثناء ساعات صحوه ، فاذا نام زال هذا التحكم ، وخرجت هذه المشاعر في الحلم . ونادرا ما تكون الأحلام المزعجة هي نفس الأشياء الحقيقية التي يخافها الطفل ، بل تكون غالبا رموزا مستترة أو قد تكون تحويرات خيالية لمخاوفه الحقيقية . وتساعد الأحلام المزعجة على تحكم الطفل في مخاوفه ، ذلك لأن هذه المخاوف تتحول الى أشكال وهمية لا يدرك الشاب المخاوف الحقيقية التي يمثلها ، فهو يستطيع دائما أن يقول لنفسه « لم يكن هذا الا حلما » .



الاحلام المزعجة أعراض مقنعة لمخاوف الطفل الحقيقية

وفي بعض الأحيان تكون الأحلام المزعجة عرضا ضمن الأعراض الكثيرة التي يعبر بها الطفل عن قلقه ، وقد تتكرر كثيرا ، أو قد تبلغ من الشدة حدا يخيف الطفل من النوم في المساء ، وفي هذه الحالة يحتاج الطفل الى مساعدة طبيب نفساني .

الفشل الدراسي

يعتبر القلق سببا شائعا للفشل الدراسي ، فالطفل القلق عادة يكون غير متزن لا يثبت على حال ، غير قادر على تركيز تفكيره في أى شيء لمدة طويلة ، ويصرف جزءا كبيرا من وقته في التحكم في انفعالاته المتضاربة ، وكنتيجة لهذا يضطرب عمله الدراسي مهما كان ذكاؤه .

والتأخر الدراسي أثناء المرحلة الخامسة أو السادسة من التعليم أمر شائع ، ويشابه ذلك بدء المراهقة عندما يجد الطفل نفسه أمام دوافع جديدة تعتمل في نفسه ، فإذا كان عاديا صحيحا من الناحية الانفعالية استطاع أن يخرج من هذه الأزمة في مدى سنة أو سنتين يكون بعدها قد تعلم معالجة مشاكله الداخلية ، أما في حالة الطفل المضطرب انفعاليا قد يكون هذا التأخر بداية انحدار قد ينتهي بفشل نهائي وترك الدراسة . ولعل المدرسين الآن قد بدءوا يدركون الدور الذي تلعبه المشاكل الانفعالية في الفشل الدراسي ، فأحيانا لا يحتاج الطفل المتأخر دراسيا الى اشراف زائد أو دروس خاصة ، وانما معونة على حل مشاكله الشخصية .

النشاط الزائد

كثيرا ما يتسبب عدم الاتزان وزيادة النشاط ، وما يسميه الآباء أحيانا « بالهوس » عن القلق . وفي هذه الحالة لا يستقر الشاب على حال فهو دائم الحركة ، وحتى في جلسته يهز ساقيه ويمرّج ذراعيه .

وبالرغم من أن مثل هؤلاء الأطفال ليسوا من حالات السلوك الشاذ بمعنى الكلمة ، (فهم لا يحاولون أحداث اضطراب ما) ولكنهم غالبا ما يكونون مشاكل لمدرسيهم ، فهم لا ينتظرون دورهم في الكلام ، ويتحركون كثيرا في مقاعدهم ، ويخطون بأقدامهم ، وهم دائما يبحثون عن أعذار يتركون بها أماكنهم ، فتارة هم يريدون الذهاب الى مبرأة الفصل ، أو الى قاموس الفصل ، وتارة يريدون أن يشربوا ، أو يذهبوا الى دورات المياه ، فهم دائما يخلون بنظام الفصل .

وهذا النشاط الذي لا هدف له هو وسيلة الطفل لأن يخلص نفسه من قلقه ، ولكن محاولة إيقاف هذا النشاط ليس له من أثر الا أن يزيد من قلقهم الداخلي ، ويزيد من حاجة الطفل الى النشاط الحركي ، ويكون الحل بمساعدة الطفل على أن يجد مخارج يشبع فيها طاقته ، كالرياضة وأوجه النشاط الاجتماعي والهوايات .

السلوك غير الاجتماعي

واجرام الأحداث الذي هو سلوك غير اجتماعي عدواني كثيرا ما يكون دليلا على مشاكل انفعالية في الطفل . لماذا

يطيب لكثير من الشبان التمرد على النظم الاجتماعية وعدم الاعتراف بمصادر السلطة ؟ لماذا يعيث بعض الأطفال بحقوق الآخرين ؟ لماذا يتحول الشاب الى المشاكسة والسرقه والكذب دون أن يشعر بأى اثم ودون أن يهتم بما يجره على غيره من أضرار ؟ لننظر الى حالة «ف» فقد تكون مفتاحا لاجابة هذه الأسئلة :

حالة « ف »

كان «ف» مصدرا لكثير من الانزعاج لوالديه عندما كان فى الثانية عشرة ، فقد كان ثائرا متمردا لا يخضع لأية قاعدة أو يطيع أى كبير ، وكان والداه يشكوان من أن له مزاجا حادا ، لا يثق فى أحد ، يكذب باستمرار ويسرق من فصله ومن والديه ومن المحلات المجاورة واذا أمسك لم يبد عليه أى شعور بالجرم بل على العكس كان يغضب لأنه أهين .

كان «ف» أصغر طفل فى عائلة كبيرة قلما كان يجتمع أفرادها سويا ، وكان والداه يعملان وكان أمر «ف» موكول معظم الوقت الى اخوانه واخواته الكبار الذين كانوا يكرهون هذه المهمة ، ولذا فلم يكن يهتم به أحدهم اهتماما حقيقيا ، وقد تعلم منذ الصغر أن يكون مشاعبا ، فكأنه يقول لنفسه « لم تحاول أن تسر غيرك اذا كان غيرك لا يهتم بك ؟ ولماذا تحاول أن تكون خيرا اذا لم يشجعك أحد على ذلك ؟ » فليس من عجب اذن اذا شب «ف» متمكرا داخل نفسه ، يعمل

ما يسره هو دون أن يعبأ بالنتائج ، فما دام غيره لا يقبله فهو بدوره لا يقبل غيره .

وقد استمر «ف» - كغيره من الأحداث المجرمين - في مستوى انفعالي غير ناضج ، فقد أصبح يعتبر نفسه - كأى طفل - أهم من من في الوجود بالنسبة إليه ، وكان يرى أنه يجب أن يبحث عن متعة نفسه ما دام غيره لن يهتم به .

ما الجواب على اجرام الأحداث ؟

كثيراً ما يعامل الكبار الأحداث المجرمين بغضب ، وهذا خطأ من البداية لأن الحدث يرى الناس يعضونه ويعملون ضده فإذا عاقبناه لسلوكه زدنا مشكلته تعقيداً ، وأثبتنا له بذلك بأن ظنه أنه مكروه من الجميع صحيح ، كما أن الشاب إذا لم يشعر بالحب لا يجد ما يدفعه لأن يهتم بحقوق الآخرين أو ليتعلم ضبط النفس ، فهو لن يضبط دوافعه ويعدل من سلوكه إلا إذا أصبحت رغبات شخص آخر هامة بالنسبة إليه .



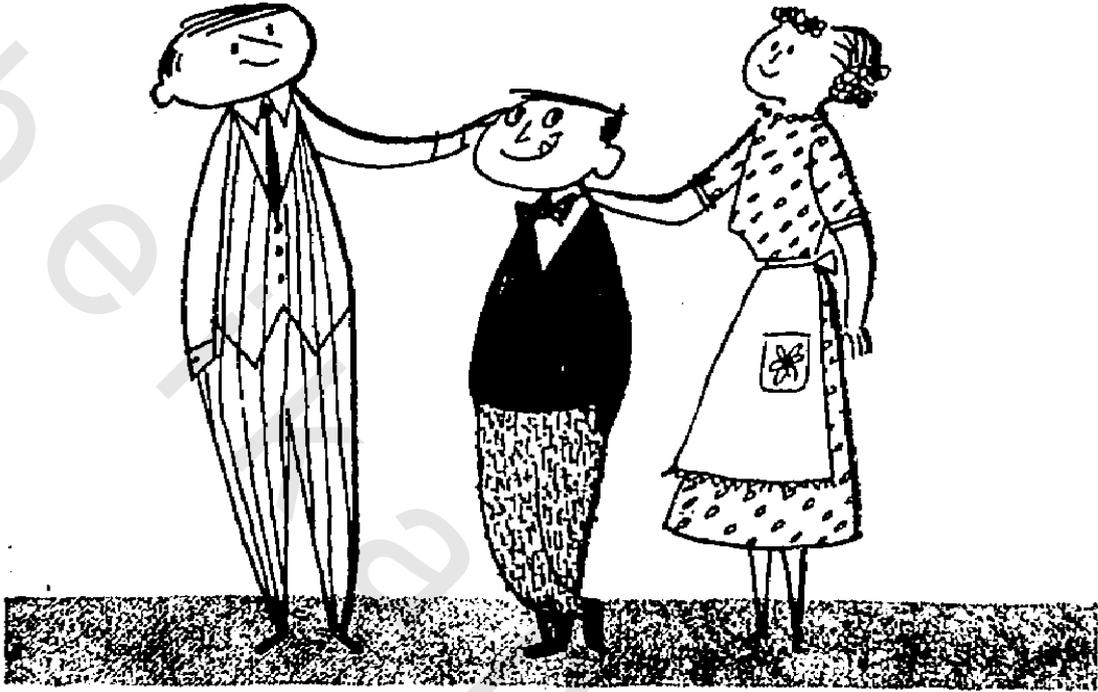
المجرمون الاحداث يحتاجون لا الى العقاب بل الى التفهم والعاطفة

والعالم مملوء بأمثال «ف» ذلك لأن المجتمع يدير لهم ظهره ، فليس الاهمال أو البرود في المعاملة هو الحل لمشاكلهم الانفعالية ، ولكن الذى هم فى حاجة اليه هو الحب والتفهم والصدقة من المجتمع الذى حرّمهم منها ، ولكن الحزم والنظام قد يكونان أيضا ضروريين ، ويجب أن يكون معهما دائما تلك العواطف الحارة .

الأحداث المجرمون والمضطربون والعاديون ..

قد يسلك الشبان سلوكا متمردا ، وقد لا يثقون فى أحد ولا يطيعون نصيحة أحد ، بل ولا يهتمون بموافقة الكبار على ما يعملون ، ولكن الشاب يجب دائما أن يلقى الموافقة من دنيا الكبار ، وفى بعض الأحيان يستمر غضبنا على مثل هؤلاء الشبان حتى يعدلوا عن سلوكهم هذا ، وحتى يعملوا ما يرضينا ، أو يسلكوا سلوك الكبار ، ولكن كل شاب فى حاجة لأن يشعر أنه مرضى عنه وأنه محبوب لشخصه ، فالطفل الذى يسلك سلوكا غير اجتماعى تشيع فى أرجائه المخاوف والقلق هو فى أشد الحاجة الى أن يطمئن الى أنه محبوب ومحترم ، وكلنا قد مر به أشخاص قد فعلوا العجائب مع صبية أو بنات مجرمين ، فهؤلاء الأشخاص سواء كانوا مرشدين متخصصين فى عيادات توجيه الأطفال ، أو مدرسين فى المدارس العامة يشتركون فى صفة واحدة ، وهى أنهم قادرون على أن ينقلوا الى الشاب المضطرب الشعور بأنه

شخص محبوب محترم . وهذه القدرة في أي شخص تضمن له نجاحه في معاملة الأطفال والشبان ، سواء كانوا مجرمين أو مضطربين أو متمتعين بكامل الصحة الانفعالية .



أكثر الفتيان تمردا وعصيانا في الحقيقة هم أحوجهم للعطف والتشجيع

وسائل المساعدة

كنا تؤكد خلال هذا الكتيب الدور الذي نلعبه نحن الآباء والمدرسين في نمو الأطفال الانفعالي ، فمعايرنا وعاداتنا واتجاهاتنا ومعتقداتنا تحدد الى حد كبير نمط السلوك الذي سيتبعه أطفالنا اذا ما كبروا ، والمشاكل الانفعالية التي تظهر في الطريق يمكن ارجاعها أيضا الى العلاقة بيننا وبين أطفالنا ، فلمساعدة الأطفال على حل مشاكلهم الانفعالية يجب علينا دائما أن نفحص جانبنا في هذه العلاقة - العلاقة بين الطفل والكبير - وسنناقش في هذا الباب الاتجاهات والمعلومات التي يجب أن يعرفها الآباء والمدرسون ليتسنى لهم مساعدة صغارهم على حل مشاكلهم الانفعالية .

الصداقة الحقيقية هي أهم شيء لازم

فكما قلنا سابقا أن الشعور الصادق والعطف الحار نحو الأطفال أول ما يجب أن نعمله لمساعدتهم ، والعاطفة الصادقة لا يمكن اصطناعها ، فالشاب سرعان ما يعرف ما اذا كان اهتمامنا به وبمشاكله هو ما نرعى اليه أم لا ، فان طالبنا أن يحبنا ويثق فينا كان ذلك عديم الجدوى الا اذا صحبه تكوين علاقة حارة صادقة معه من ناحيتنا .

هل يجب على الكبار أن يبدوا كاملين فى كل شىء ؟

ولسوء الحظ فان بعض البالغين يشعرون أنهم يجب أن يفرضوا سلطتهم ، وأن يحتفظوا بهيبتهم مع الأطفال وفى الحقيقة لا يشعر بهذا الا كل بالغ غير مطمئن لنفسه . وأهم سبب لذلك أن الشخص البالغ يستطيع أن يتنزل لمستوى الطفل دون أن يفقد هيئته أو سلطته ، ودون أن يصير وضعيا أو غير مخلص .

وكثير من الكبار يشعرون أن النظم والقواعد التى يفرضونها على صغارهم والمطالب التى يطالبونهم بها هى عين الصواب ، فاذا ما ثار الشاب ضدها نعتوه بأنه « شخص مشكل » ولكن الكبار ، من المحتمل أن يكونوا — وغالبا ما يكونون — هم المخطئين . ففى علاقاتنا بأطفالنا يجب أن نبذل جهدا مخلصا لأن نظل قابلين لسماع وجهات النظر الجديدة ، وأن نستمر مرتين فى تطبيق المعايير التى نضعها .

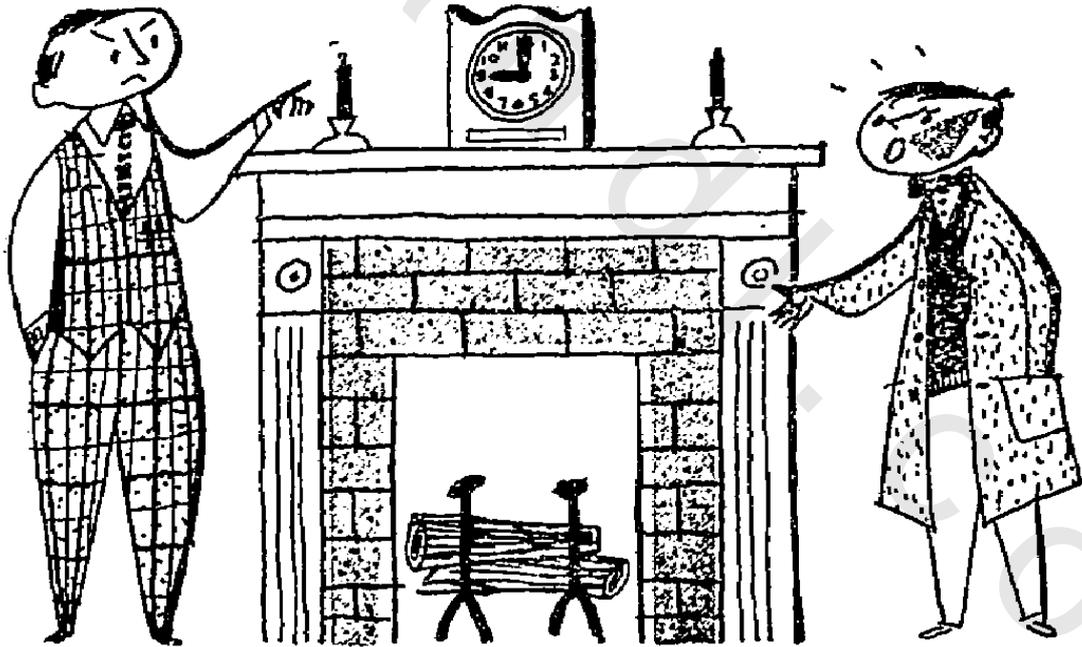
هل نطلب شططا ؟

ينسى كثير من الآباء الأنواع المختلفة للشخصيات التى يتعامل معها كل صغير ، فعليه مثلا أن يتفق مع أصدقائه أما أن يكون مختلفا عنهم فهذا ما يؤلمه وما يخجله ، ونحن أحيانا ما نضطره لأن يثور بأن نطلب منه الكثير ، أو أن تفرض عليه قواعد ونظما تختلف عن التى تفرض على باقى زملائه .

«هـ» صبى فى العاشرة طلب اليه أن يلبس حلة وقميصا

أبيض ورباط رقبة بالمدرسة يوميا ، ولكن جميع التلاميذ الآخرين كانوا يلبسون جاكته زرقاء وقمصان مفتوحة ، وكان الصبية يسمونه « اللورد الصغير » ويغيظونه بلا هوادة . فأصبح «هـ» بائسا وطالما فكر في الهرب من المنزل .

ففرض القواعد والمعايير على أطفالنا اذا كانت تختلف عن المفروضة على أصدقائهم تسبب لهم التعاسة وتضطربهم الى التمرد ، فالأطفال يودون رضائنا ومحبتنا ولكنهم أيضا يودون رضاء غيرهم من الأطفال واحترامهم لهم . فنحن نساعد أطفالنا اذا كنا في فرض معاييرنا نهتم أيضا بمطالب الجيل الذي يعيشون بينه .



أحيانا ما ندفع الطفل للتمرد بالزامة اطاعة قواعد غير معقولة

هل نحن متساهلون أكثر مما يجب
وكثيرا ما يعامل الآباء والمدرسون الشاب كما لو كان

حظا ، فيطالبونه بتفسير لما يقضى فيه كل وقته ، فليس له ما يختص به وحده ، ويشرفون عليه اشرافا دقيقا ، بل وأحيانا ما تكون الحرية المعطاة للشبان أقل من المعطاة للأطفال ، فأب الذى كان يسمح لابنه فى العاشرة أن ينطلق حرا كما تنطلق الريح يقيد من حركاته عندما يصل الى دور الشباب .

ونحن فى محاولتنا أن يظل أطفالنا صغارا قد نعطل نموهم الانفعالى ، فكثير من الرجال والنساء مثلا يجدون صعوبة فى توافقهم مع مسئوليات الزواج والوالدية ذلك لأنهم فقدوا فرصة المرح والمغامرات والغراميات فى عهد شبابهم . ولن نستطيع أن نتحكم فى أطفالنا — وحتى ان أمكننا ذلك فلن يدوم طويلا — بأن نجعلهم دائمي الاعتماد علينا ، فالأطفال الذين لم تتح لهم فرصة النضوج والاعتماد على النفس دائما يكونون منمردين وغير طيعين .

ولكن ماذا عما نسمعه كثيرا عن ميل الشبان للخروج على القوانين وعدم الشعور بالمسئولية ؟ فأول كل شىء ، أنها الحالات المتطرفة هى التى نراها فى الجرائد ، وهؤلاء يمثلون أقلية صغيرة جدا بالنسبة للمجموعة كلها ، وثانيا أن هؤلاء الشبان لم يكونوا على هذا النحو من النوحش لأنهم شبان ، بل لأنهم أفراد مضطربون انفعاليا ، فالشبان الصحيحون من الناحية الانفعالية يتعدون عن هذه الحوادث فى هذا السن ، والشبان الذين لا قوا أساسا صحيحا من العلاقات السعيدة

في منازلهم ، والذين تعلموا كيف يتعاملون مع غيرهم في المدرسة وفي الملعب هؤلاء يمرون في مرحلة شبابهم بسلام ، فاحساسنا وثقتنا بقدرة أطفالنا على التفكير والتصرف الصحيحين وتشجيعنا لهم على تحمل المسؤولية أمر لازم في مرحلة الشباب ، ويجدر بنا أن نبتعد كلما أمكننا عن القيود والموانع التي تفرضها عليهم .

هل نتوقع استقرارا زائدا ؟

مرحلة الشباب مرحلة ثورة ، فالشباب يمر فيها في عدد من الاستجابات الانفعالية . « ا » فتاة في الخامسة عشرة قررت حديثا أن « تقاطع الرجال » وأن تجد عملا ولا تفكر مطلقا في الزواج ، وقد انزعج والداها من انسحابها من كل أوجه النشاط الاجتماعي ، واتخاذها فجأة نظرة جديدة نحو الحياة ، وقد حدث بعد شهر أن أنبتها أمها لخروجها مع الفتيان مرتين في الأسبوع ، وقالت هي في مرارة « كيف يتسنى لى أن أحب اذا كنت لا تتحين لى فرصة الخروج مع الفتيان ؟ ولكن أمها ذكرتها قائلة « أظنك قلت انك لن تتزوجى » فأجابت بضيق « آه كان هذا منذ أمد طويل عندما كنت لا أزال طفلة » .

وقد يكون من المحير أيضا للكبار انقلاب اتجاهات الأطفال نحوهم ، فبينما يطلب الطفل المعونة والنصح يوما من ابيه أو مدرسه ، ويعبر عن شكره الزائد لذلك ، وينفذ هذه

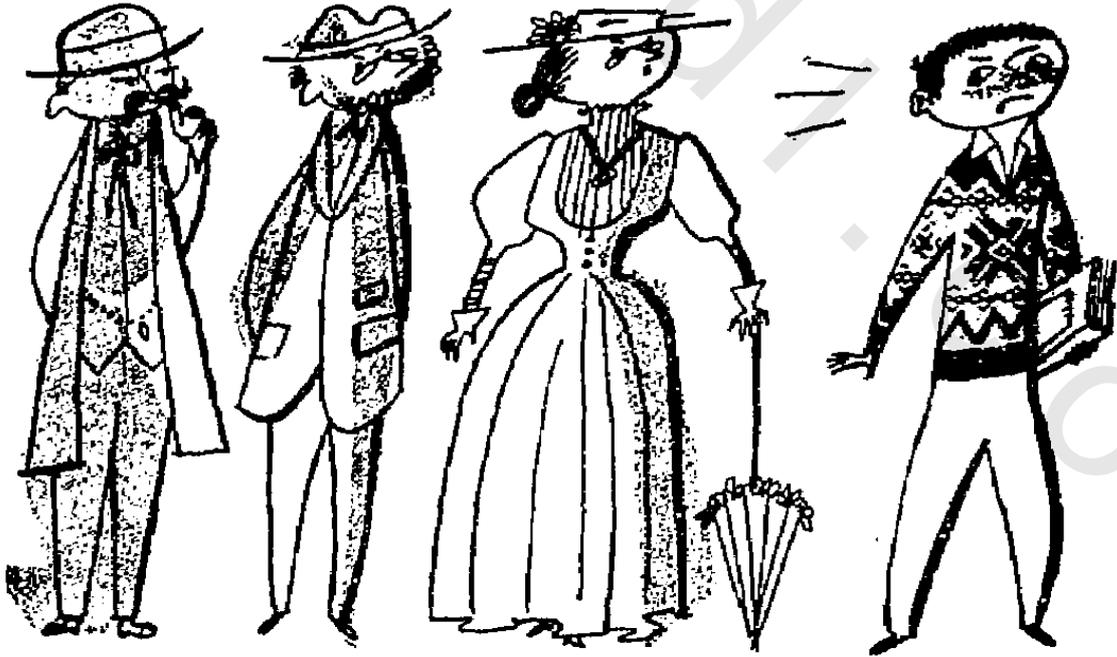
النصيحة في حينها تراه في اليوم التالي يتضايق اذا اقترحت عليه أقل اقتراح ، وقد يعلن لك أنه أصبح في سن يستطيع فيه أن يعرف الصواب من الخطأ أكثر من شخص متأخر مثلك !

ويجب على الآباء والمدرسين أن يتقبلوا ويتفهموا هذه التقلبات بين المتناقضات ، والانحراف السريع من الاعتماد الكلى الى الاستقلال الكلى اذا كانوا يرغبون حقيقة في مساعدة أبنائهم ، فما هذه التغيرات الا محاولاتهم في ايجاد حل لمشاكلهم الانفعالية ، فقبل أن يكتشف الصبي خير السبل للتصرف مع البنات مثلا قد يحاول أن يتجاهلهم تماما، أو أن يحوم حولهن أو أن يعارضهن ، وتأرجحه من الاعتماد الكلى الذى يتصف به الأطفال الى الثورة والتمرد يتسبب عن عاملين متضارين ، فهو أولا يود أن ينمو وأن يقف على قدميه ، وهو ثانيا يود أيضا أن يستمر معتمدا على غيره حتى يتهرب بذلك من المسئوليات والمضايقات ، وفي أى طريق يسلك — سواء نحو الطفولة أو نحو النضوج — هو يشعر ببعض الأسف وعدم الارتياح ، واذا تغلبت رغبته فى النمو توقعنا أن يطالب الشاب بحقوق الكبار ، وأن يعارض كل ما يظنه حرمانا له من أن يحظى بتلك الحقوق ، ويعمل على أن يتجاهل عدم ثقته بمركزه الجديد كشخص كبير ويبرهن لأبيه ومدرسيه — ونفسه — أنه لم يعد ذلك الطفل الصغير.

هل نحن مستعدون لبعض التمرد ؟

يعتبر التمرد عادة علامة جيدة على حسن توافق الشخصية — علامة على أن الشاب قد عزم على تحمل مسئولية النضج فاذا ما عرف الآباء والمدرسون ذلك كان من السهل عليهم أن يتقبلوا الوقت الذي يقول فيه الشاب لهم انهم طراز عتيق متزمت ، فهذه مرحلة يمر فيها كل الشبان الأصحاء ، وعندما يصبحون أكثر ثقة بدور الكبار الذي اكتسبوه ويغالبون رغبتهم في البقاء أطفالا فانهم سيعدلون فكرتهم السلبية عن الكبار وطرق تفكيرهم نحوهم .

فلقد قال « مارك توين » انه عندما بلغ الرابعة عشر كان يظن أباه أجهل رجل رآه ولكنه عندما بلغ الواحدة والعشرين عجب من مقدار ما تعلمه « الرجل المسن » في السبع سنوات التي مضت .



يبدو المدرسون والآباء في نظر الشبان من طراز عتيق ومتزمتين

تفهم أعراض التوافق الضعيف

إن الحد الفاصل بين السلوك الطبيعي للشباب والمشاكل الاتفاعلية الحادة هو خط ضعيف ، فالظهور المؤقت لأحد « الأعراض » - وهذا هو الاسم الذي نطلقه على دليل ضعف التوافق - اذن ليس دليلا قاطعا على وجود مشكلة ، فالمخاوف التسلطية مثلا شائعة بين أطفال الخامسة أو السادسة بل وقد تعود أحيانا في المراهقة لوقت قصير . فمتى اذن يمكننا أن نعد العرض مهما ؟ اليك بعض القواعد التي ترشدك :

١ - إذا أصبح أحد الأعراض جزءا في سلوك الطفل أو إذا تعددت أعراضه وجب على الآباء والمدرسين الاهتمام بذلك .

٢ - إذا تدخلت هذه الأعراض في مقدرته على العمل والانتاج فحدث من طاقته وسببت له سلوكا غير اجتماعي ، أو جعلته منزويا جدا أو أوجدت عنده نزعة عدوانية زائدة ، أصبح الشاب محتاجا للمساعدة .

٣ - شيء آخر تجب مراقبته ، وهو إذا كان العرض يتفاقم باستمرار . واليك مثال :

« م » صبي عمره خمسة عشر عاما ، كان دائما شابا محبا للجد والعمل ، ولم يهتم كثيرا بأوجه النشاط الاجتماعي أو الرياضة ، وقد أصبح يمرض مرات عديدة كلما دخل الكنيسة ، وسرعان ما بدأ بعد ذلك يشكو أنه لا يجب

المدرسة ، وأصبح يتلمس الأعذار للبقاء بالمنزل يوما أو يومين كل أسبوع ، وأصبح نومه متقطعا ، وكثيرا ما كانت تراه أمه جالسا يبكى على انفراد ، وأخيرا امتنع نهائيا عن الذهاب للمدرسة وصار يجلس في المنزل دون عمل يؤديه .

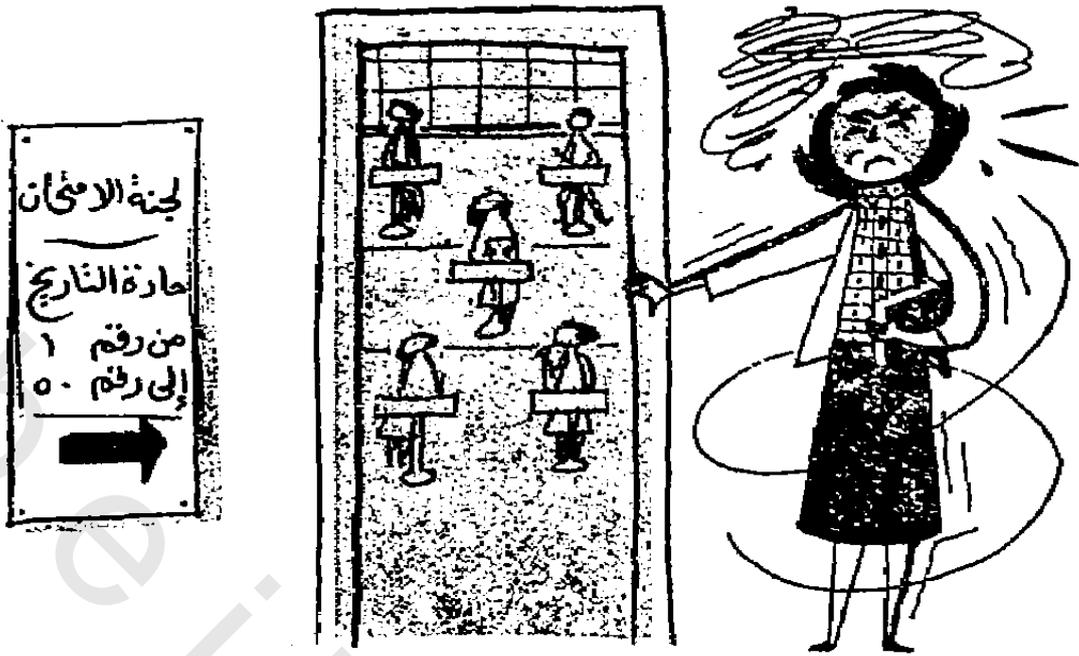
هذا مثال يوضح كيف اتسعت الأعراض تدريجيا حتى وصلت الى درجة تحتاج الى استشارة الاخصائى .

كن متأكدا من أن الشاب الخجول المنطوى لن يصل الى مرحلة العزلة التامة عن العائلة والأصدقاء ، وأن الشاب الذى يميل للاتقان لن يصير مع الزمن شككاكاً موسوسا فى كل أعماله ، وبمعنى آخر فتمط السلوك الذى كنا نعتبره فى وقت ما عاديا قد يصبح مع الزمن شذوذا وتطرفا .

ماذا نعمل قبل أن يحضر الطبيب ؟

ليست الأعراض الا دلائل على أن هناك خطأ فى تكوين الشخصية ، ولكن الذى يهم هو السبب الأساسى . فيجب ألا يكون همنا التخلص من العرض — العلامات الخارجية للمشكلة — بل أن نتفهم الصعوبات المسببة ونساعده على زوالها .

« أ » مثلا تلميذة مجدة ودائما مستعدة لامتحاناتها ، ولكن كلما اقترب يوم الامتحان أصيبت بمرض ، فالذى يجب أن يهتم به والداها ومدرسوها ليس خوفها من الامتحان، ولكن أسباب شعورها بأنها غير مطمئنة لنفسها وخوفها من الرسوب .



خوف « ا » من الامتحانات ما هو الا مظهر لشعور أعمق بالعجز وقد نسخر من « أ » لاختفائها خوفها من الامتحانات ولكن مثل هذه الطرق التي ترمى الى التخلص من العرض تزيد من شعورها الداخلي ، فيجب أن يوجه اهتمام والديها ومدرسيها الى معرفة أسباب خوفها من الامتحانات ، فهذه احدى القواعد الثلاث لمساعدة الصغير لمعالجة مشاكله الانفعالية . وهذه القواعد يمكن تلخيصها فيما يلي :-

١ - لنساعد الصغير على حل مشاكله الانفعالية ، ينبغي أن نسأل أنفسنا لماذا يتصرف بهذه الطريقة الملتوية ؟ لماذا تعمل شخصيته على حل صعوباته بهذه الطريقة الخاصة ؟ لماذا هو غاضب ؟ وما الذي أخافه هكذا ؟

٢ - لنساعد الطفل على حل مشاكله الانفعالية يجب أن نسأل أنفسنا : ما دورنا نحن في مشكلة الطفل الانفعالية ،

هل نحن متزمتين في القواعد والمعايير التي نقرضها ؟ هل نطالبه بأكثر مما ينبغي ؟ هل نقابل تمرده بالتظاهر بالغضب ؟

٣ - عندما نحاول أن نساعد الطفل يجب أن نفهم تماما حدودنا ، فليست المشاكل الانفعالية مما يسهل حلها ، فهي متعلقة بتربية الطفل الأولى وبخبراته وبعلاقاته مع الآخرين .

وفي بعض الأحيان تحتاج هذه المشاكل الى معونة أكثر مما يستطيع الآباء تقديمه ، فاستشارة الأخصائي عندما لا تنجح أنت في محاولتك لا يمكن أن يعد خطأ .

أين تذهب للمساعدة ؟

لقد صاحب التقدم السريع لعلم النفس وعلم النفس الطبى في السنوات الأخيرة ميل الأشخاص غير الفنيين أن يتدخلوا مع الفنيين في علاج المشاكل الانفعالية .

فمن الواجب عليك أن تتأكد من مؤهلات الشخص الذى تستشيريه فى المشاكل الانفعالية لطفلك ، أو تلميذك واليك بعض الأشخاص المؤهلين لمعاونة الناس على حل مشاكلهم الانفعالية :

الطبيب النفسى : هو الطبيب الذى قضى ثلاث سنوات على الأقل بعد دراسة الطب فى علاج المشاكل الانفعالية ، كما يتخصص الجراح والأخصائى فى فروع اختصاصهما ، وكثير من الأطباء النفسيين يتخصصون زيادة على ذلك فى الأطفال وقد يكون الأطباء النفسيون متصلين بمستشفيات أو يعملون

في عيادات خاصة وقد يجمعون بين هذا وذاك .

الخير النفساني : وهذا ليس طبيبا وانما يحمل شهادة الدكتوراه وقد تدرب على وسائل الاختبار ومساعدة الصغار في المشاكل الاجتماعية ، والدراسية والمهنية ، والشخصية ، وهو عادة متصل بالادارات الدراسية والعيادات النفسية وكثيرا ما يتعاون في هذا مع الطبيب النفسى .

الخير الاجتماعى : ومن بين الخبراء الاجتماعيين من يكون طبيبا نفسيا أو اجتماعيا ، وهو مزود أحسن تزويد بما يجعله قادرا على معالجة مشاكل الأطفال المضطربين انفعاليا بل ومعالجة عائلاتهم . ويكون قد تخرج في الجامعة بعد أن أخذ تدريبا خاصا على علاج المشاكل الاجتماعية للمرضى المضطربين انفعاليا ، وعائلاتهم كما أنه يكون قد أعد أيضا من ناحية الخدمة الاجتماعية .

كلمة أخيرة

ناقشنا في هذا الكتيب النمو الانفعالى وبعض الحاجات الأساسية للطفل ، والوسائل التى يمكن للآباء والمدرسين عن طريقها التعرف على المشاكل الانفعالية للأطفال ومساعدتهم على حلها .

ونحب أن تؤكد نقطة واحدة في الختام :

الانفعالات وسائل نافعة ، ولها قيمتها ، فليس هدفنا أن نعاون أطفالنا على أن يشبوا غير قادرين على ابداء انفعالات

حارة ، بل أن نعلمهم كيف يستخدمون. انفعالاتهم استخداما
بنائيا . نحن نود لهم أن يكونوا بمنأى عن الصراعات
الانفعالية الهدامة ، وعن المخاوف ومظاهر القلق التي لا أساس
لها ، ونود لهم أيضا أن يكونوا قادرين على اظهار غضبهم
للظلم الاجتماعى ، وابداء عطفهم ومحبتهم لغيرهم ، وأن
يتفانوا فى حبهم ، أو أن يمتثلوا حماسا ولذة لعملهم ونواحى
نشاطهم . فبهذه الوسيلة نعاونهم على أن يشبوا رجالا ونساء
مسؤولين ناضجين من الناحية الانفعالية .